اكثر الروايات
مبيعا فى العالم

ألفريد هيتشكوك

دعني أهرب

العالمية للكتب والنشر

دعنى أهرب

روائع ألفريد هتشكوك

إعداد

خليل حنا تادرس

الناشر

العالمية للكتب والنشر

دعنى أهرب

ألفريد هتشكوك

رقم الإيداع 14385 - 2006

الترقيم الدولى 4 - 78 - 6189 - 977

الناشر: العالمية للكتب والنشر

المدير المسئول : سعيد عثمان

*

الجيزة 15 الفاروق عمر بن الخطاب ـ الطالبية ـ فيصل

جمهورية مصر العربية

ت/ 3595973 (012)

خصم الشيطان

خصم الشيطان

إنها قصة تتم في قرى الحدود حيث تلتقي ماساشوستس بفيرمونت حقا إن " دانيال وستر " قد مات أو هم على الأقل قد أوروه التراب ، ولكن ما من مرة تثور فيها عاصفة رعد على مارشفيلد حتى تسمعهم يقولون إنك تستطيع أن تسمع صوته يصل إليك من أجواء الفضاء ويقولون إنك إذا ذهبت إلى قبره وصحت بصوت مرتفع واضح : " دانيال ويستر " أخذت الأرض ترتجف وراحت الأشجار تترنح وسمعت بعد لحظة صوتا عميقا بجانبك " أيها الجار كيف حال الاتحاد " .

من الخير لك أن تجيب بأن الاتحاد قائم كما كان على أرض من صخر وفي غمد من نحاس اتحاد لا تنفضه عراه بل إنه شب ونما وازداد قوة . هكذا كان يقال لى عندما كنت صبيا .

لقد كان " دانيال ويستر " أعظم رجل فى البلاد . لم يصل إلى منصب رئيس الجمهورية إلا أنه كان أعظم رجل فى البلاد وكان هناك آلاف يؤمنون به بعد إيمانهم بالإله القدير ويرددون عنه

قصصا تشبه قصص القديسين والأبرار . ويقولون إنه كان إذ وقف خطيبا برزت النجوم والشهب على الفور من السماء .

ذات مرة وقف خطيبا ضد أحد الأنهار . فإذا النهر يفيض في الأرض .

ويقولون : إنه كان إذا خرج يتمشى في الغابة حاملا صنارته كان السمك يقفز من قنوات الماء إلى داخل جيوبه مباشرة لأنه كان يعلم أن لا فائدة ترجى من المقاومة .

وأنه كان إذا دافع عن قضية استطاع أن يستجد بمعارف القديسين والملائكة وأن يسيطر على الأرض من تحت قدميه .

هكذا كان ذلك الرجل وكانت مزرعته الكبيرة في مارشفيلد تناسبه . وكان الدجاج الذي يربيه يصبح لحما أبيض كله إلى الرجلين ، كما كانت الأبقار ترعى كالأطفال ، وكان الكبش الكبير الذي يسميه " جوليات " ذا قرون ملتوية تبدد مثل كرمة مورقة ، وتستطيع أن تنطح من تشاء خلال باب من حديد ولكن " دانيال " لم يكن واحدا من الفلاحين المترفين فقد كان يعرف كل مشارف الأرض وكان يخرج على ضوء الشموع ليطمئن إلى أن الأعمال في مزرعته تسير وفق ما يريد وهو رجل له فم مثل فم

الكلب الكبير الحجم ، وجبين كأنه الجبل الأشم ، وعينان كأنهما جمرتان ملتهبتان .

هكذا كان " دانيال ويستر " في عنفوانه إلا أن أكبر قضية ترافع بها لم يكن من حظها أن تدون في الكتب ، إذا كان الشيطان نفسه هو خصمه فيها .

وقد تعودت أن أسمعها تروى على النحو الآتي :

كان هناك رجل اسمه (جابتزسيون) يعيش في (كروس كورترز) (بنيو هابيشاير) وما كان بادئ أمره رجلا شريرا ولكنه كان رجلا سيء الحظ وإذا زرع قمحا أصابه السوس وإذا زرع بطاطس أصابتها الآفات .

كان يملك أرضا واسعة ولكنها لم تكن تسعده وكانت له زوجة طيبة وأطفال كلما ازدادوا عددا نقص رزقهم .

وكان لسوء الحظ إذا أثمرت الأحجار في حقل جاره اتقدت الصخور في حقله هو وإذا اقتنى حصانا أصابته الأورام وباعه في مقابل حصان مختلج بعد أن يدفع فرق الثمن للبائع .

كان من أولئك الذين قدرت عليهم المصائب . ولكن

" فجبنرستون " ضاق في أحد الأيام ذرعا بهذا الأمر .

وفي ذات صباح كان يحرث الأرض فإذا بسلاح الحراث ينكسر إن اصطدمه بصخرة بقسم " جامبز " إنها لم تكن موجودة في الأرض بالأمس .

وبينما كان واقفا ينظر إلى سلاح الحراث بدأ أحد الحصانين يسعل سعلا متصلا من ذلك النوع الذى ينم عن المرض ويحتاج إلى طبيب بيطرى .

وكان لجامبز في الوقت نفسه طفلان مصابان بالحصبة وكانت زوجته تشكو ألم المرض كما كان هو يشكو من دمل في إبهامه . وهكذا كان كسر الحراث هو القشة التي قصمت ظهر " جامبزسون " فراح ينظر فيما حوله في يأس وقنوط ويقول :

ـ أقسم أن هذا الذى ألاقيه يكفى لأن يدفع الإنسان لبيع روحه للشيطان وإنى لبائع روحى له أنا أيضا في مقابل سنتين اثنتين .

ثم تولته نوبة من الدهشة غمرته عندما قال ، رغم أنه وهو أبناء منوها جشابر .

أبى إن يرجع عما قال .

وعندما أقبل المساء ولم يلحظ أية بادرة تنبئ بأن أحدا قد سمعه وهو يناجي نفسه ، شعر بارتياح نفسي كبير فقد كان رجلا كما جاء في الكتاب .

ففي اليوم التالي قرب ساعة العشاء جاء رجل ناعم الحديث غريب عن البلدة يرتدي ثيابا سوداء يستقل مركبة أنيقة ذات عجلتين وسأل عن " جاميزستون " .

وأخذ " جامبز " أهل بيته ، إن القادم محام جاء يقابله في أمر يتصل بوصية .

ولكنه كان يعلم من هو ، كانت نظرة الغريب غير محببة " لجاميز " كما كانت طريقته في الابتسام من بين أسنانه تدعو إلى الاشمئزاز .

كانت أسنانا بيضاء كثيرة ويقول البعض إنها كانت مسنونة ذوات أطراف حادة ، ولكن لا أستطيع أن أقطع بصدق هذا القول .

وأحس " جاميز " بالنفور من هذا الغريب عندما رأى كلبه يلقي عليه نظرة واحدة ثم يجري مبتعدا عنه وهو يعوي وذيله بين رجليه . ولكن " جاميز " وقد قال كلمته لم يستطع أن يرجع عنها فذهب مع الغريب خلف المخزن وعقدا الصفقة فيهما .

وكان على " جاميز ستون " أن يخرج إصبعه ليمضى العقد بتوقيعه فأقرضه الغريب دبوسا من الفضة وقد اندمل الجرح نظيفا فيما بعد وإن كان قد ترك في مكانه ندبة بيضاء صغيرة .

بعد ذلك وعلى حين غرة بدأت الأمور تتصلح وراح الخير ينهمل قدما على " جاميز " فسمنت بقراته وصحت خيوله وأصبحت محصولاته موضع حسد الجيران .

وقد يصيب البرق الوادى كله ولكنه يتحاشى مخزنه .

وسرعان ما أصبح من أكثر أهل البلاد ثراء حتى لقد طلبوا إليه أن يرشحوه نائبا عنهم . فقبل .

وجرت المشاورات بعد ذلك لترشيحه شيخا عن الولاية في مجلس الشيوخ .

ونستطيع القول بصفة عامة إن أسرة " ستون " أصبحت سعيدة هانئة كالقطط في معمل اللبن .

هكذا كانت حال الأسرة إذا ما استثنينا منها " جاميز ستون " نفسه .

نعم .. لقد كان سعيدا فى السنوات القلائل الأولى فإنه لشىء رائع أن يتحول عنه الحظ السىء ويخلو من رأسه معظم الأشياء التى تنغص عيشه .

حقيقة إن الندبة الصغيرة البيضاء كانت تخزه فى إصبعه من حين لآخر وخاصة عندما يكون الجو ممطرا .

وقد كان الغريب فى مركبته الأنيقة يزوره مرة فى كل عام بشكل منتظم دقيق دقة الساعة .

وظل الأمر طبيعيا حتى السنة السادسة حين جاء الغريب فجأة ثم انقضى السلام بينهما .

جاء الغريب من أدنى الحقل وهو يعابث حذاءه بعصا فى يده كان حذاء أسود أنيقا . ولكن " جاميز ستون " لم يرتح لمرآه وبخاصة موضع الأصابع .

ـ حسن يا مستر " ستون " لقد نلت حظا رائعا فإن لك أملاكا عظيمة هنا .

فقال " جاميز ستون " وهو كما نعلم " هميشا برى " صميم .

ـ قد يعتبرها بعض الناس نعمة وقد يعتبرها البعض الآخر

نقمة .

فقال الغريب في بساطة وقد أبرز أسنانه في ابتسامة كريمة :

ـ لا تهون من قيمة عملك ، على أية حال نحن نعرف ما حدث وقد تم طبقا لعقد صحيح الإجراءات . ولهذا يجب ألا تشعر بالأسف حين يستحق علينا الرهن في العام القادم .

فقال " جاميز ستون " وهو يتلفت حوله كأنما يلتمس العون من السماء والأرض :

ـ مازالت تتحدث عن هذا الرهن أيها السيد . لقد بدأ نوع من الشك يساورني في شأن موضع أو موضعين منه .

وقال الغريب في غير ابتهاج : لا شك .

فقال " جاميز ستون " وقد بدا أكثر جرأة .

ـ نعم ، فإن هذه البلاد هي الولايات المتحدة الأمريكية . وقد كنت أنا دائما رجلا متدينا ومن أجل هذا تساورني في شأن هذا العقد شكوك كثيرة . وأعتقد أنها لن تزول إلا إذا عرضت الأمر على المحكمة .

فقال الغريب وهو يصر بأضراسه :

- إن هناك محاكم ومحاكم ، ومع ذلك فيجدر بنا أن نلقى نظرة على الوثيقة الأصلية .

وأخرج من جيبه محفظة سوداء كبيرة حافلة بالأوراق وراح يتمتم :

- شروين وسلاتر سيتفنز . ستون . أنا " جاميز ستون " لمدة سبع سنوات .

آه إنها قانونية تماما فيما أعتقد .

ولكن " جاميز ستون " لم يكن مصغيا فقد رأى شيئا يخفق فى المحفظة السوداء . كان شيئا يبدو كالفراشة ولكنه لم يكن فراشة .

وفيما كان " جاميز ستون " يحدق فى هذا الشىء خيل إليه أنه يتحدث بصوت مختنق ضئيل رفيع ولكنه إنسان إلى أبعد حد .

أيها الجار " ستون " أيها الجار أغثنى بالله عليك " أغثنى " .

ولكن قبل أن تدعى ستون أية حركة أخرج الغريب من جيبه منديلا كبيرا أمسك به هذا المخلوق الذى يشبه الفراشة كل الشبه وراح يعقد أطرافه حوله وقال :

ـ آسف لهذه المقاطعة كما كنت أقول ...

ولكن " جاميز ستون " اشتملته الرجفة كحصان فاجأه الرعب ، وقال في سخط :

ـ هذا صوت مستر ستيفز وإنك تمسك به في منديلك .

وبدا بعض الضيق على الغريب وقال وهو يبتسم ابتسامة بلهاء :

ـ نعم كان ينبغي أن أنقله إلى صندوق المجموعة ولكن بالصندوق أنواع أكثر ندرة ولا أريد أن أزيد من ازدحامه لا بأس .. لا بأس هذه أمور صغيرة تحدث من وقت لآخر .

وقال " جاميز ستون " :

ـ أنا لا أعرف ماذا تقصد بالأمور الصغيرة ، ولكن أعرف أن هذا صوت مستر " سيتفز " وهو لم يمت ولا تستطيع أن تزعم لي أنه مات . فقد كان في غاية النشاط والصحة يوم الثلاثاء الماضي .

وقال الغريب بنوع من التدين :

ـ لقد كان في منتصف العمر .. أصغ .

ونمى إلى أسماعهم في تلك اللحظة صوت ناقوس يدق .

وأصغى " جاميز ستون " وجبينه يتصبب عرقا . فقد أدرك أن الجــرس يــدق معلنـــا أن مســـتر (ســـتيفز) قـــد مـــات .
وقال الغريب وهو يتنهد :

هذه الحسابات المعلقة منذ أمد طويل إن المرء فى الواقع يبغض أن ينهيها . ولكن ماذا أفعل ؟ الشغل شغل .

وكان المنديل لا يزال فى يده ، وانتاب جاميز ستون شعور بالمرض وهو يرى المنديل ينتفض ويخفق فى يدى الغريب .

فسأله فى صوت مبحوح :

ـ أكلهم صغار الحجم إلى هذا الحد ؟

فقال الغريب : صغار الحجم ؟ أوه فهمت ما تعنيه لا ليسوا جميعا متماثلين .

ثم راح يقيس جاميز بعينيه وانفرج فمه وقال :

ـ لا تشغل بالك يا مستر (ستون) فإنك ستذهب حاملا رتبة عظيمة جدا .

فإننى أطمئن عليك خارج صندوق المجموعة .

ولكننا مع رجل مثل (لوابتال ويستر) سيكون علينا أن نصنع

له صندوقا خاصا وسيدهشك طول جناحيه .. أما فى حالتك أنت يا مستر جاميز فكما كنت تقول .

فقال " جاميز ستون " فجأة : ضع هذا المنديل جانبا .

ثم راح يتوسل فى ضراعة فكان ما استطاع أن يناله هو مهلة ثلاث سنوات مع الشروط الجديدة .

ولا أحسبك تتصور كيف تنقضى السنوات الأربع سراعا إلا إذا أبرمت اتفاقا مثل هذا . فقبل أن تنقضى سنوات المدة بأشهر قلائل كان جاميز وستون قد أصبح مشهورا فى طول الولاية وعرضها وتحدث الناس فى أمر ترشيحه لمنصب المحافظ .

فما كان هذا كله إلا كالغبار والرماد فى حلقة . وكان يقول لنفسه عندما يستيقظ كل صباح ها قد اتفقت مرة أخرى . وعندما يتمدد فى فراشه تتمثل أمام عينيه صورة المحفظة السوداء وروح (سيفز) البخيل .

وكان هذا التفكير يشبع السقم فى كيانه حتى أصبح فى الأيام الأخيرة لا يطيق الاحتمال . فأسرج جواده وانطلق يبحث عن (دانيال وستر) وينال من مواليد (بنوهامبشاير) يقيم على مسافة بضعة أميال من كروس كورمتزز . وكان معروفا عنه فى المنطقة

كلها أنه يكنّ عطفا كبيرا لجيرانه القدامى .

وصل جاميز إلى دار شفيلد في وقت مبكر من الصباح ولكنه وجد (دانيال) قد استيقظ وراح يجوس خلال أرضه ويتحدث إلى عمال المزرعة باللغة اللاتينية ويتصارع مع الكبش (جوليات) ويجرب جوادا جديدا ويتدرب على خطب جديدة يلقيها ضد (جون ش ـ كالهون) .

ولكنه عندما سمع أن زائرا من بنوهامبشاير جاء ليراه تخلى عنه كعادته عن كل ما كان يفعله .

وقدم (جاميز ستون) إفطارا يكفى لأكثر من خمسة رجال ثم راح يستعيد على ضيفه تاريخ حياة كل رجل وامرأة كووس كورنلز ، وأخيرا سأله عن الخدمة التى يستطيع أن يؤديها له ؟

قال جاميز ستون : إنه قادم بشأن قضية رهن .

فقال دانيال : حسنا إننى لم أترافع فى قضية رهن منذ أمد طويل وعلى العموم فإننى لا أترافع الآن إلا أمام المحكمة العليا غير أننى مع هذا سأساعدك أن أفعل ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

فقال (جاميز ستون) إذن فإن أمامى بصيصا من الأمل للمرة

الأولى منذ عشر سنوات .

ثم راح يقص عليه تفاصيل الأمر و(دانيال) مصغ يتمشى ذهابا وجيئة ويداه خلف ظهره يسأل سؤالا حينا ويركز نظراته على أرضية الغرفة حينا آخر وكأنه يخرقها بهذه النظرات كما تفعل المثاقب حتى إذا انتهى (جاميز ستون) نفخ (دانيال) شدقيه ثم أفرغ منهما الهواء والتفت إلى (جاميز ستون) وقد غمرت وجهه ابتسامة فى مثل إشراقة الشمس وقال :

- إنك بكل تأكيد قد أسلمت نفسك لجانب الشيطان فجرفك فى تياره أيها الجار ستون ولكنى سأتولى قضيتك .

وقال (جاميز ستون) وهو لا يكاد يصدق أذنيه .. سيتولاها .

نعم . إن عندى ما لا يقل عن خمس وسبعين مسألة أخرى .

لأتولاها كما أنى مشغول باتفاق (ميسورى) ولكن مع ذلك سأتولى قضيتك .

فإنه لم يكن رجلان من نيوهاميشاير جديرين بمنازلة الشيطان فإن الأجدر بنا أن نترك البلاد للهنود الحمر .

هل استغرقت وقتا كثيرا فى المجيء إلى هنا ؟

فقال جاميز ستون وهو يصافح دانيال :

ـ أعترف بأنني استغرقت وقتا طويلا .

ـ إذن فستعود مسرعا .

وأمر دانيال فأعدت مركبة يجرها الحصانان (كونستنوش وكونستيلشان) وكانا رمادى اللون لكل منهما قائمة شهباء يجريان كالبرق الخاطف .

لن أصف إلى أى مدى فرحت أسرة ستون باستقبال دانيال وستر ولا إلى أى مدى فرح ستون حتى لقد أطارت الريح قبعته فى الطريق فلم يلق إليها بالا.

ولكنه أذن للأسرة جميعها بأن تأوى إلى الفراش بعد العشاء لأن لديه عملا على جانب كبير من السرية مع مستر (بستر) وأرادت مسز (ستون) أن يجلسا في قاعة الاستقبال ولكن ديستر كان يعرف قاعات الاستقبال فقال إنه يفضل المطبخ فكان ما أراد .

وجلسا هناك ينتظران الغريب وبينهما المائدة عليها إبريق من الخمر وقد أوقدت نيران المدفأة .

كان المتوقع أن يظهر الغريب عند انتصاف الليل جريا على مألوف عادته . إن الغالبية العظمى من الرجال لا يرجو خيرا من دانيال .

ويستبدلون إبريق من الخمر ، ولكن جاميز ستون كان يزداد حزنا على حزن مع كل دقة من دقات الساعة فراحت عيناه تدوران فيما حوله وهو يعكف عن إبريق الخمر رغم أنه أعده بنفسه حتى إذا بلغت الساعة الحادية عشرة والنصف هب قائما وأمسك بذراع دانيال ويستر وصاح به :

- مستر (ويستر) .

وراح صوته يرتعش من الخوف وقد فارقته شجاعته ثم قال :

- بالله عليك يا مستر ويستر أسرج جواديك وبادر بترك هذا المكان بأقصى ما تستطيع من سرعة .

فقال (دانيال ويستر) بكل هدوء وهو يتناول الإبريق :

- هل جئت بى أيها الجار من مكان بعيد لتقول لى إن صحبتى لا تروق لك ؟

فرد (جاميز ستون) فى صوت أشبه بالأنين :

ـ يا لى من يائس تعس لقد جئت بك إلى طريق الشيطان .

والآن هاأنذا تبينت مقدار مخافتى .

اتركه يأخذنى إذا أراد .

إننى لا أتلهف على الذهاب معه ولكنى أستطيع أن أحتمل ذلك .

أما الذى لا أقدر على احتماله فهو ذهابك أنت .

إنك سند الاتحاد وفخر (بنوهامبشاير) يجب ألا يأخذك يا مستر (ويستر) يجب ألا يذهب بك .

ونظر(دانيال ويستر) إلى الرجل المشتت الفكر وقد بدأ وجهه الشاحب وكيانه المضطرب فى ضوء اللهب الذى ينبعث من المدفأة ووضع يده على كتفه وقال بلطف :

ـ إننى أشكر لك هذه المشاعر أيها الجار " ستون " فإنه لجميل منك أن تفكر فى أمرى على هذا النحو .

غير أن هناك إبريقا من الخمر على المائدة وقضية فى يدى ولم يحدث فى حياتى قط أننى تركت إبريقا أو قضية دون أن أتحقق من أمرهما إلى النهاية .

وفى هذه اللحظة بالذات طرق الباب طرقة حادة .

فقال دانيال ويستر بصوت غاية في البرود :

ـ آه .. كنت أعتقد أن ساعتك تؤخر بعض الشيء أيها الجار ستون .

ثم تقدم إلى الباب ففتحه وقال :

ـ ادخل .

ودخل الغريب غارقا في السواد . يبدو طويلا فى ضوء النيران وقد حمل تحت ذراعه صندوقا يابانى الطراز أسود اللون ، فى غطائه ثقوب تسمح بمرور الهواء .

وعندما رأى جاميز ستون الصندوق أطلق صيحة خفيفة وانكمش فى ركن من الحجرة .

وقال الغريب فى أدب بالغ وقد أومضت عيناه كما تومض عينا ثعلب فى قلب الغابة .

ـ مستر (ويستر) على ما أعتقد .

فقال (دانيال ويستر) وقد أومضت عيناه هو أيضا :

- وكيل قضائى مسجل عن (جاميز ستون) هل أستطيع أن أسألك عن اسمك ؟

فقال الغريب دون اكتراث :

- إن لى اسماء عدة ربما كان اسم (خريولسن) أصلحها لى فى مسائنا هذا .

فالناس يطلقون على هذا الاسم أحيانا فى هذه المناطق .

ثم جلس إلى المائدة وصب لنفسه قدحا من الإبريق فإذا الشراب البارد يتدفق من الإبريق فى حرارة البخار .

ثم قال وهو يبتسم مكشرا عن أسنانه :

- والآن سوف ألجأ إليك باعتبارك مواطنا يحترم القانون كمواطن قانونى دائم ليعيننى حتى أحصل على حقى .

هكذا بدأت المناقشة وأخذت تطول وتحتدم .

وكانت لدى (جاميز ستون) فى البداية بادرة أمل ولكنه عندما كان (دانيال ويستر) ينقل من نقطة بعد أخرى تضائل فى منكمشه وعيناه لا تفارقان ذلك الصندوق اليابانى الطراز .

لقد كان أخطر ما فى الأمر أن الفعل ثابت والتوقيع

صحيح .

لقد ظل (دانيال ويستر) يتلوى ويتلفت هنا وهناك ويدق على المنضدة بقبضة يده ولكن هذا كله لم يفده شيئا .

فعرض للقضية حلا وسطا ولكن الغريب لم يصغ إلى شيء من ذلك .

لقد تمسك بحرفية القانون وأشار إلى أن الدين له زد من حيث القيمة وحكام الولايات بطبيعة الحال جديرون إن ثقتهم أكثر ارتفاعا .

كان (دانيال ويستر) لا شك محاميا كبيرا ولكننا جميعا نعرف من هو ملك المحامين فقد جاء ذكر ذلك في الكتب .

وهكذا بدا أن (دانيال ويستر) قد لقي ندا له لأول مرة في ميدان المحاماة .

وأخيرا تثاءب الغريب قليلا ثم قال :

ـ إن جهودك النشيطة في سبيل موكلك تستحق التقدير يا مستر ويستر .

ولكن إذا لم تكن لديك حجج أخرى تقدمها فإنني أستميحك

عذرا فلا وقت لدى .

وارتعدت فرائص (جاميز ستون) وبدا وجه (دانيال ويستر) كأنه سحابة مرعدة . وقد أرعد (ويستر) فعلا وهو يقول :

ـ لديك وقت أو ليس لديك وقت إنك لن تنال هذا الرجل .

إن مستر (ستون) رعية أمريكية ولا يجوز إكراه مواطن أمريكى على العمل فى خدمة أمير أجنبى .

لقد حاربنا إنجلترا مرة من أجل هذا وسنحارب من أجل الجحيم بأكمله مرة أخرى .

وقال الغريب :

ـ أجنبى .. ومن قال إننى أجنبى ؟

فقال (دانيال ويستر) فى دهشة كبيرة :

ـ إننى لم أسمع من قبل أن ... إنك تدعى الانتماء إلى الوطنية الأمريكية .

وابتسم الغريب ابتسامة مخيفة وقال :

ـ ومن أولى بهذا الحق منى ؟

لقد كنت هنا عندما وقع أول اعتداء على الهنود . وعندما أقلعت أول سفينة لجلب العبيد .. كنت واقفا فوق ظهرها .

ألست موجودا في كتبكم وفي قصصكم ، بل في عقائدكم منذ زمن المهاجرين الأوائل إلى هذه البلاد ؟

صحيح إن الناس في الشمال يدعون أني جنوبي وأن أهل الجنوب يدعون أني شمالي ولكنني في الحقيقة لست بهذا ولا ذاك .

فما أنا إلا أمريكي شريف مثلك .. وإذا أردت الحقيقة يا مستر (ويستر) وإن كنت لا أحب التفاخر فإن اسمي أكثر عراقة من اسمك .

وقال (دانيال ويستر) وقد نفرت عروق جبهته :

ـ إذن فإني أستند إلى الدستور وأطالب بمحاكمة لموكلي .

فقال الغريب وعيناه تومضان بالشر :

ـ إن القضية لا تكاد تصلح للعرض على محكمة عادية .

والحقيقة إن تأخير ساعة ...

قال (دانيال ويستر) :

ـ فلتكن أية محكمة تختارها ما دام المحلفون أمريكيين .

لتكن محكمة نشيطة أو لتكن محكمة لا حياة فيها .

وإنني لعلى استعداد لتحمل النتائج .

وقال الغريب :

ـ لقد قلتها أنت .

ثم أشار بإصبعه نحو الباب فإذا الريح تهب في الخارج فجأة وتتبدى للأسماع ضوضاء وقع أقدام تسمع واضحة في سكون الليل وإن كانت في وقعها أبعد من خطوات الأحياء .

وصاح (جاميز ستون) وقد اعتراه الخوف والاضطراب :

ـ بالله من يكون القادمون في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟

فقال الغريب وهو يرشف رشفة من كأسه التي يغلي فيها الشراب :

ـ إنهم المحلفون الذين يريدهم مستر (ويستر) أرجوك أن تتغاضى عن المظهر الخشن الذي سترى عليه بعضهم فلقد قطعوا إلى هنا طريقا طويلا .

وتحولت النار إلى لهيب أزرق اللون وانفتح الباب فى عنف ودخل منه اثنا عشر رجلا الواحد تلو الآخر .

وإذا كان الرعب قد أسقم (جاميز ويستر) من قبل فقد أعماه الآن وهو يبصر بها .

كان الداخلون (والتر تبلر) الملكى الذى كان مبشر النيران والفزع فى وادى الموهوك أيام الثورة و(سيمون جيرتى) ، الخائن الذى يهلل للهنود وهم يربطون البيض فى الأوتاد ويشعلون فيهم النيران حتى يحترقوا ، وكان ذا عينين خضراوين كعين الهرة تعلو قميص الصيد الذى يرتديه بقع من دماء لم تكن غزلان وكان فيهم الملك (فيليب) بكل ما كان فيه من غطرسة وشراسة طوال حياته يعلو رأسه ذلك الجرح البليغ الذى أفضى إلى موته .

كما كان دبل الحاكم القاسى الذى كان يحطم الناس فوق عجلات التعذيب .

كان معهم أيضا (نورنون) من ميرى لوتث الذى أزعج مقاطعة ليموث بوجهه الأحمر الجميل وبكراهيته الشديدة لكل ما تقول به الأديان .

وكان بينهم أيضا القرصان الدموى (تينش) بلحيته فوق

صـدره . كمـا كـان بيـنهم الأب (جـون سميـث) بيديـه الخـانقتين وعباءته السـويسرية الطراز يسير بنفس الأناقة التى كان يسـير بها إلى المشنقة وكان الأثر الأحمر الذى خلفه الحبل ما زال باديا حول عنقه ، ولكنه كان يحمل فى إحدى يديه منديلا تفوح منه رائحة عطر نفاذ .

دخل هؤلاء جميعا إلى الغرفة ونيران الجحيم ما زالت تحيط بهم والغريب يعلن أسماؤهم وأفعالهم فى أثناء دخولهم إلى أن كانت القصة الثانية عشرة .

لقد قال الغريب الحقيقة بحذافيرها وتلك إنهم جميعا قد لعبوا دورا فى تاريخ أمريكا .

وحين أخذوا أماكنهم ، قال الغريب فى تهكم :

هل أنت راض عن المحلفين يا مستر " ويستر "

وجمد العرق فوق جبين " دانيال ويستر " ولكنه قال بصوت واضح :

- كل الرضا وإن كنت لا أرى الجنرال أرنولد بينهم .

وقال الغريب :

ـ إن " بيذبكت أرنولد " مشغول بعمل آخر .

ـ آه إنك تطلب قاضيا فيما أعتقد .

وأشار بإصبعه مرة أخرى .

فإذا برجل فارع الطول يدخل الغرفة عليه عباءة المطهرين ، تضطرم فى عينيه نظرات التعصب الواضح يدخل إلى الغرفة ويتخذ مجلس القاضى .

وقال الغريب :

القاضى " هارتون " من رجال القانون وخبراؤه ، رأس بعض محاكمات السحرة التى عقدت فى العالم .

لقد ندم البعض على هذا العمل أما هو فلم يندم أبدا ، وقال القاضى ذو الوجه الصارم :

ـ وهل يندم المرء على مثل هذه المعجزات والأعمال الرائعة التى قمنا بها ؟

ـ بل الشنق لهم جميعا فليشنقوا جميعا

ثم همهم محدثا نفسه فى لهجة باردة سرت كالثلج فى قلب " جاميز ستون "

وبدأت المحاكمة .

ولا شك أنك توقعت أنها محاكمة لا تصلح للدفاع ، على أية حال لم يدل " جاميز ستون " بأية شهادة يزكى دعواه وإنما ألقى نظرة على " سيمون جيرتى " وصرخ فحملوه إلى ركن الغرفة وهو فى شبه غيبوبة من الذعر ، وما كان هذا ليوقف المحاكمة فاتخذت سبيلها شأن غيرها من المحاكمات .

لقد سبق أن واجه " دانيال ويستر " محلفين قساة وقضاة غلاظ الأكباد ولكن هؤلاء الذين يوجههم اليوم هم أقسى من واجه فى حياته جميعا وما كان غافلا عن ذلك .

لقد جلسوا إزاءه وفى عيونهم بريق ، وصوت الغريب الناعم اللين ينطلق وينطلق وإذا أبدى اعتراضا فهو مقبول .

إنك بطبيعة الحال لا تتوقع أن تجد خصما شريفا فى شخص مثل " خوبوسن " .

وفى النهاية اقترب دور " دانيال " فإذا هو قد محى كالحديد فى جوف الأتون وإذا هو يقرر فى دخيلة نفسه أن يسلخ الغريب سلخا ويلجأ إلى كل حيلة من حيل القانون لتجريحه وتجريح القاضى والمحلفين .

ولم يبال أن يعتبر تصرفه إهانة لهيئة المحكمة ولم يعبأ مما قد يحدث له نتيجة لمرافعته ، كما أنه لم يعبأ أيضا بما قد يحدث " لجاميز ستون " وكلما فكر فيما سوف يقول ازداد ثورة على ثورةٍ .

والعجيب فى الأمر أنه كلما ازداد ثورة قلت قدرته على ترتيب أقواله ترتيبا متتابعا .

وأخيرا حان الوقت لأن يقف على قدميه فوقف متأهبا للكلام والادعاء وكشف خصومه وفضح اتجاهاتهم .

ولكنه قبل أن يبدأ الكلام ألقى نظرة متفحصة على القاضى والمحلفين .

فهكذا كانت عادته فى مثل هذه المواقف .

وتضاعف بريق عينيه فمالوا جميعهم إلى الأمام وبدوا ككلاب الصيد أوشكت أن تنقض على ثعلب تطارده .

ونظروا إليه وتكاثر أمام عينيه ضباب الشر في الغرفة وهو يدينهم .

ثم تبين له ما هو موشك أن يفعل ، فجففِ حبات العرق التى

غطت جبهته كما يفعل رجل نجا لتوه من الوقوع في حفرة في الظلام .

إنهم ما جاءوا إلا من أجله كذلك وليس من أجل " جاميز ستون " فحسب .

لقد قرأ هذا في بريق عيونهم وفي الطريق التي يخفى بها هذا الغريب فمه بإحدى يديه وأدرك أنه لو حاربهم بأسلحتهم وقع فى قبضتهم .

لقد أدرك ذلك ولكنه لا يستطيع أن يدرى كيف أدركه . كان يرى غضبه ورعبه يضطرمان فى أعينهم وكان لا بد له أن يزيل هذه النظرة أو تضيع القضية من يديه .

ووقف لحظة وعيناه السوداوان تتقدان كالفحم المحترق ثم بدأ يتكلم .

بدأ فى صوت خفيض وإن كانت كلماته واضحة يستطيع المرء أن يسمع كل كلمة منها .

لقد كان القوم يقولون إنه يستطيع أن يستنجد بمعارف القديسين والملائكة إذ أشار . لذلك بدأ الحديث ببساطة وسهولة كما يفعل

أى رجل من الرجال .

ولم يبدأ بالاتهام أو بالسباب .

وإنما كان يتحدث عن الأشياء التى تجعل الوطن وطنا والرجل رجلا .

وبدأ بالأشياء البسيطة التي يعرفها كل إنسان ويحسها .

نضرة الصباح الجميل وأنت فتى فى مقتبل العمر ومذاق الطعام الطيب وأنت جائع واليوم الجديد الذى لا ينصرم وأنت طفل صغير .

لقد جمع هذه الأشياء كلها وراح يديرها بين يديه ، إنها أشياء طيبة صالحة لأى إنسان ، ولكنها بدون حركة تصبح أشياء تثير الغثيان .

وحين راح يتكلم عن العبيد ومآسى العبودية كان صوته أشبه شىء برنين جرس ضخم الجحيم .

تكلم عن أيام أمريكا الماضية والرجال الذين صنعوا هذه الأيام .

ولم يكن حديثا من تلك الأحاديث ذات الرنين والطنين وإنما

كان يرسم الواقع الذى بدأه كل إنسان .

ولقد اعترف بكل الأخطاء التى وقعت ولكنه أوضح كيف نما خلق جديد من بين الخطأ والصواب ومن بين الآلام والمجاعات ، وكيف أن كل إنسان قام بدوره حتى الخونة .

ثم تحول إلى " جاميز ستون " ووصفه لهم كما هو ...

رجل عادى ذو حظ سيئ أراد أن يستبدل به حظا أسعد .

ولأنه أراد أن يبدو حظه يحكم عليه اليوم بالعذاب إلى يوم الدين .

ومع ذلك فإن فى " جاميز ستون " صفات ومزايا طيبة . وقد بين لهم هذه المزايا والصفات .

لقد كان جافا دنىء الطبع فى بعض النواحى ولكنه كان رجلا .

وإذا كان من المؤسف أن يكون الإنسان رجلا إلا أن هذا أمر يدعو إلى الفخر والاعتزاز .

وراح يبين موطن هذا الفخر وهذا الاعتزاز حتى إن أحدا لا يملك إلا أن يحس بهما .

نعم .. فحتى في الجحيم تستطيع أن تعرف الرجل إن كان رجلا حقا .

لم يعد (ويستر) يترافع عن شخص معين رغم أن صوته كان يرن كأنه عزف الأرعن .

لقد كان يروى قصة الإنسان وعثراته فى طريق رحلته الأبدية .

إن الإنسان ينخدع ويقع فى الشباك ويجد من يغرر به ولكنه فى الواقع عظيما حقا .

وما من شيطان يستطيع أن يصل إلى مراميها .

فهذا أمر يكلف الإنسان حياته .

وبدأت النيران تخبو في الموقد وهبت نسمات الفجر التى تسبق الصباح .

وكانت بواكير ضوء النهار تتسلل إلى الغرفة عندما انتهى (دانيال ويستر) من مرافعته .

ولقد عاد بكلماته قبل نهايتها إلى أرض بنوهامبشاير . البقعة الوحيدة التى يحبها كل إنسان ويتعلق بها .

لقد رسم صورة لهذا كله وهو يذكر كل واحد من المحلفين بأشياء

طال بها النسيان .

ذلك أن صوته قادر على أن يمس شغاف القلوب .

وكان هذا مكمن موهبته ومجلى عبقريته .

كان صوته يبدو لأحدهم كالغابة بكل أسرارها الخافية في حين يبدو لآخر كالبحر الهادر العاصف ويبدو لثالث كأنه صرخة أمته الضالة .

ويرى فيه الآخرون منظرا بذيئا لم يتذكر أحد منهم مثله منذ سنين .

لقد رأى كل فرد منهم في مرافعة (دانيال ويستر) شيئا قريبا إليه .

ولكنه مع ذلك لم يكن يدرى حين انتهى من مرافعته أهو قد أنقذ (جاميز ستون) أم لم ينقذه .

ولكنه كان واثقا أنه قد صنع معجزة .

لقد اختفى البريق من أعين القاضى والمحلفين وعادوا رجالا من البشر مرة أخرى وأدركوا آنذاك أنهم ليسوا إلا رجالا من البشر .

وقال دانيال ويستر :

ـ الدفاع يستريح .

وظل واقفا كالجبل وأذناه تطنان من أثر مرافعته .

وظل لا يسمع شيئا غير هذا الطنين إلى أن قال القاضي هارثون :

ـ المحلفون سينسحبون للنظر في قرارهم .

ونهض (والترتيلد) من مكانه وعلى وجهه أمارات هي صريح من الكبرياء الكئيبة والمرح المشرق وقال وعيناه معلقتان بعين " الغريب " .

لقد أصدر المحلفون قرارهم . إنه لصالح المدعى عليه (جاميز ستون) .

حينئذ فارقت الابتسامة وجه " الغريب " ولكن (والترتيلد) لم يتراجع وقال :

ـ ربما كان القرار لا يتفق تماما مع الأدلة المقدمة ولكنه الشيطان نفسه لا يملك إلا أن يحيي بلاغة مستر (ويستر) .

شق صياح الديك سماء الصباح التي تسلل إليها النور واختفى القاضي والمحلفون من الغرفة فكأنهم ما كانوا هناك أبدا .

والتفت " الغريب " إلى (دانيال ويستر) وهو يبتسم فى تشنج .

لقد كان الماجور (تبلد) رجلا جريئا دائما ولكنه ما كنت أظنه جريئا إلى هذا المدى ومع ذلك فاقبل تهنئتى كما يحدث من السادة المهذبين .

وقال (دانيال ويستر) :

ـ ناولنى هذه الورقة أولا من فضلك .

وتناولها ومزقها ، والعجيب أنها كانت دافئة الملمس .

ثم امتدت يده كأنها مصيدة دب فقبضت على ذراع الغريب وقال له :

ـ والآن سأقبض عليك أنت .

فقد كان يعلم أنه إذا استطاع إنسان أن يتغلب على رجل الـ (خربوش) فى نضال عادل انقضى سلطانه على هذا الإنسان .

وكان يعلم أيضا أن (خربوش) على علم بهذه الحقيقة .

وتلوى الغريب وحاول أن يتخلص ولكنه لم يستطع الإفلات من قبضة (ويستر) .

فقال وهو يبتسم ابتسامة شاحبة :

رويدك يا مستر (ويستر) إن عملك هذا شيء مضحك وإذا كنت قلقا من أجل أتعاب الدفاع فطبيعي أنه يسرني أن أدفع ..

وقال دانيال ويستر وهو يهزه بعنف حتى اصطكت أسنانه :

ـ وإنك لدافعها . فسوف تجلس هنا إلى هذه المائدة بالذات وتكتب على الفور وثيقة تتعهد فيها بأنك لن تتعرض لـ (جاميز ستون) ولا لورثته أو تابعيه ولا لأي إنسان آخر من بنوهامبشاير إلى يوم يبعثون .

فإننا إذا احتجنا إلى وجود جهنم في هذه الولاية فسوف نقيمها نحن بأيدينا دون معونة من الغرباء .

وصاح الغريب :

ـ آه .. آه .. حسنا إنهم لم يهرعوا متزاحمين قط إلى المصيدة ولكن .. آه .. إنني موافق .

ثم جلس وكتب الوثيقة ولكن يد (دانيال ويستر) ظلت آخذة تبقيه ياقة معطفه طوال الفترة التي استغرقها في الكتابة .

وحين تأكد (دانيال) أن الوثيقة مكتوبة بالصيغة القانونية السليمة قال الغريب بكل خضوع :

ـ والآن هل تأذن لى أن أذهب .

وقال دانيال وهو يهزه مرة أخرى :

ـ تذهب ؟ إنني لا أزال أفكر ماذا أفعل بك .

لقد أديت أتعاب القضية ولكنى لم أنته من أمرك .

أعتقد أننى سأعود بك إلى مارشفيلد فعندى هناك كبش اسمه جوليات يستطيع أن ينطح بابا من حديد ، وتتملكنى الرغبة فى أن أتركك طليقا في حظيرته لأرى ماذا هو فاعل بك .

فراح الغريب يتوسل ويتضرع فى خضوع ذليل .

وكان دانيال طيب القلب بطبيعته فوافق على أن يتركه وشأنه .

وبدا الغريب ممتنا لذلك كل الامتنان حتى لقد قال إنه سينبئ (دانيال) بمستقبله ليكون ذلك دليلا على الصداقة بينهما ووافق دانيال على ذلك وإن كان عادة لا يثق فى أحد من المنجمين .

إلا إن الأمر يختلف مع الغريب ، وتفرس " الغريب " فى كف (دانيال) وأنبأه ببضعة أشياء ولكنها حدثت كلها في الماضى وقال

(ويستر) :

- نعم .. كان هذا صحيحا وقد حدث فعلا ولكن ماذا سيحدث فى المستقبل ؟

وابتسم الغريب ابتسامة بدت لها نواجذه وهو يشعر بنوع من السعادة وهز رأسه ثم قال :

- إن المستقبل ليس كما تظنه أنه مظلم إن لك مطمحا كبيرا يا مستر (ويستر) .

وقال دانيال فى تأكيد :

- نعم ... فقد كان كل إنسان يعرف أنه يطمح أن يكون رئيسا للجمهورية .

وقال الغريب :

- إنه يبدو قريبا كأنه فى قبضة يدك ولكنك لن تصل إليه ، سيصبح رجال أقل منك شأنا رؤساء للجمهورية وسيحطمونك .

- وماذا فى هذا .. إننى سأظل (دانيال ويستر) على كل حال ، وماذا أيضا .

وقال الغريب وهو يهز رأسه :

ـ إن لك ولدين قويين وإنك لتتطلع إليهما فى أمل إلى إقامة سلسلة من الإنسان ولكن كليهما سيموت فى الحرب ولن يبلغ أى منهما المجد الذى تريده له .

يعيشان أو يموتان .

إنهما ما زالا ولدى ، وماذا أيضا ؟

لقد ألقيت خطبا عظيمة وستلقى خطبا عظيمة أخرى .

ـ آه ...

ولكن آخر خطبة ستلقيها سوف تقلب عليك الكثيرين من أنصارك وسيطلقون عليك اسم (النجم الغارب) بل إنهم سيطلقون عليك أسماء أخرى ، وحتى بنو نجلد سيقول عنك البعض إنك غيرت مبادئك وبعت بلدك وستظل أصواتهم مدوية ضدك حتى يوافيك الأجل المحتوم .

ـ مادامت خطبا شريفة فلن أهتم لما يقوله الناس .

ثم التفت (دانيال ويستر) نحو الغريب والتقت النظرات بينهما وقال :

ـ سؤال واحد ، لقد كافحت فى سبيل الاتحاد طول حياتى

أترانـي أعـيش حتـى أرى هـذا الكفـاح ينتهـي إلى انتصـاره علـى هؤلاء الذين يمزقونه كل ممزق ؟

- سينتصر هذا الكفاح ، ولكن لـن يكـون هـذا وأنـت على قيد الحياة .

وسـوف يسـير آلاف علـى نهجك وهـم يستشـهدون فـي نضـالهم بكلماتك .

وقال (دانيال ويبـستر) في هدير ضخم من الضحك :

- ولماذا أيها البرميل الطويل المتحجر الجوانب ، لماذا أيها المرابى ، التنجيم ، يحسن بك أن تبتعد إلى قصدك قبـل أن أدفعـك بعلامتى التى لا تمحى .

فإننى بحق الولايـات الثلاث عشـرة الأصـلية علـى أتم اسـتعداد لأن أذهب إلى هاوية الجحيم ذاتها لأنقذ الاتحاد .

ثم أرجع قدمـه إلى الـوراء ليركـل الغريـب ركلـة تقتـل الحصـان القوى ، ولكـن طـرف الحذاء هـو الـذى أصـاب الغريـب ، ثم انطلق هاربا من البيت وصندوق مجموعته تحت إبطه .

وقـال (دانيـال ويبـستر) لــجاميز ستون وقـد بـدأ يفيـق مـن

إغماءته .

ـ والآن دعنا نرى ماذا تبقى في الإبريق فقد كان عملنا طوال اليوم جافا وأرجو أن يكون لديك فطيرة نفطر بها أيها الجار (ستون) ..

ويقولون إن الشيطان حتى اليوم لا يقترب من مارشفيلد إلا وبينه وبينها مسافة كبيرة ، وإن كان لا يرقى ولاية بنوهامبشاير منذ ذلك اليوم ....


الفاشل

الفاشل

توقفت سيارة البوليس أمام دائرة الشرطة في ميروكلين ونزل منها رجل المباحث برانسكي أولا ثم تبعه بورش .

ثم صعدا درجات السلم معا .

شعر بورش بعضلات معدته تتمدد وتتصلب وأخذ نفسا عميقا.

إنه شاب أشقر اللون نحيل ذو أنف أقنى وعينان زرقاوان تشوبهما خضرة خفيفة . كان فمه يرتجف قليلا وهو يعض على شفتيه وأخذ يحادث نفسه قائلا :

- إنك لم تذهب إلى هناك وتذكر هذا ولا تقول شيئا غيره .

بهذه الطريقة لا يمكنهم إثبات شيء حتى لو تكلم الاثنان اللذان كانا على السطح فهما لم يشاهداك إلا قليلا ولا يمكن أن يكونا متأكدين من شيء .

كان بورش يعلم بأن النصف ساعة القادمة ستكون صعبة ولكنه

سيتوصل لإقناعهم بأنه لم ير كارين منذ سنة تقريبا وبأنه انتهى من العملية .

غير أنه يجب عليه أن يكون حذرا لأن أقل خطأ منه سيفضح أمره .

ولم تكن قد مضت عشرون دقيقة على دخول برتسكى إلى ستديو بورش وبعد أن قدم نفسه سأل .

ـ السيد كلايد بورش نود أن نقول لك فى كلمة فى مركز شرطة بروكلين .

ـ وبأى خصوص ؟

ـ إنك تعلم بأن زوجتك ماتت .

أليس كذلك ؟

ورفع بورش رأسه فجأة وبعنف وقال : كارين ؟.. ماتت ؟

ما الذى حصل لها ؟

ـ أنت الذى يجب أن تقول لنا هذا .

ولكن بورش قد طالع كثيرا من الكتب وأصبح عنده علم

بالبوليس وكيف يعمل ؟

ـ إنهم يأخذون المبادرة ويتصرفون كما لو أنهم يعرفون بكل شيء ويجربون إثارتك لتفقد بدورك أعصابك ولتقع بأى الخطأ .

إذن فالتصرف الذى تصرفه براتسكى معه لأول وهلة وصمته وعدم تكلمه بأية كلمة طوال الوقت الذى استغرق وصولهم إلى مركز الشرطة فى بروكلين لم يكن كل هذا إلا من الأمور الروتينية التى يعلمها بورش .

إذن يجب ألا يعير للأمر أية أهمية .

غير أن بورش شعر شعورا غامضا فى داخله بأن رجل المباحث كان بجانبه وذلك تطرأ للثقة بالنفس التى كانت تنتابه .

ووضع براتسكى يده على كتفه بحركة عصبية وقال له :

ـ من هنا يا بورش .

ثم قرع أحد الأبواب ودخل وهو يقول :

هذا هو كلايد بورش أيها الملازم .

وجمد بورش عندما رأى ذلك الرجل المربوع الجسم ذا الشعر

الأغبر الجالس .

ـ اجلس يا سيد بورش .

قال ضابط البوليس .

واندهش بورش عندما سمع ذلك الصوت .

فقد كان ناعما ودودا لم ينتظر ذلك من تلك الكتلة القوية المتمثلة بالملازم .

ـ هل تعلم لماذا أنت هنا ؟

كان بورش يجلس بطريقة غير مرتاح بها .

ـ ليس بالضبط .

قال هذا وهو ينتقى الكلمات .

قال لى السيد براتسكى بأن كارين زوجتى ماتت ....

متى شاهدتها لآخر مرة ؟

كان ذلك منذ مدة سنة تقريبا ..

ولماذا انفصلتما ؟

لم نكن لنتفاهم مع بعضنا .

وعلى كل حال انفصلنا بعد تفاهمنا التام وكان انفصالنا جيدا.

هل كنت تأمل الحصول على الطلاق ؟

فأجابه بورش وهو يهز بكتفيه .

كنا نجرى المفاوضات على ذلك .

حتى الآن كان كل ما قاله صحيحا رغم أن بورش لم تشر أية إشارة إلى مزاج كارين الشرس ورفضها المطلق للطلاق .

وتذكر تلك النوبة العصبية التى انتابتها عندما صرخت :

أبدا .. أبدا .. أبدا .. لن يتم الطلاق إلا إذا قتلتنى .

قال له الضابط بلهجة مازحة :

ـ لقد نسيت أن تسألنا كيف ماتت .

ـ لم يتح لى الوقت لذلك .

هل تسمح وتقول لى كيف حدث ذلك ؟

وقدم ماليز ورقة بيضاء لبورش وقال :

ـ اكتب اسمك هنا من فضلك .

وأخذ بورش الورقة وبعد أن عبس قليلا قال :

ـ أوه أظن أنكم تريدون بصمات أصابعى .

فأجابه ماليز بلهجة جافة .

ـ بالضبط .

وبصماتك معنا الآن .

ثم أخذ منه الورقة وأعطاها إلى براتسكى وقال :

ـ أوكى .. لو ..

لم يكن يجدر ببورش أن يقول ذلك .

وندم فعلا على قوله .

فهذا يظهره بمظهر الفطن الفهيم القادر على إخفاء الحقيقة .

ونظر براتسكى يمر من أمامه وشعر بمرارة خفيفة فى داخله ...

وبعد أن فرك الضابط ماليز يديه قال :

ـ أين كنت بعد ظهر أمس ؟

ـ ذهبت إلى سينما راديوسيتى وكنت هناك .

فى أية ساعة كنت هناك ؟

من الساعة الثالثة حتى السادسة تقريبا .

ولكن كيف حصل أن شاهدك أحد الأشخاص تدخل إلى غرفة السيدة بورش فى الساعة الخامسة وتخرج فى الخامسة والنصف ؟

ودون أن تظهر أية حركة خاطئة أو أى تغيير فى صوته أجاب بورش بلهجة لا مبالية :

ـ إنه مخطىء .

وعندما خرجت كنت بادى الاضطراب وكنت مترنحا فى مشيتك حتى إنك كدت تسقط .

ـ لقد قالوا عنك كنت كالثمل .

وقال بورش فى نفسه : إنها بلا شك تلك المرأة الحمراء الشعر حارسة البيت فهى التى اكتشفت الجثة وأخبرت البوليس طبعا أنها أتت إلى مركز الشرطة هذا الصباح نفسه وسألها البوليس .

ويجب أن تكون قد أعطت أوصاف بورش وذلك بعد أن رأت صورته فى مجموعة صور كارين .

ـ إذن هل تأمل الخلاص عن طريق قصتك تلك .

ـ قصة السينما ؟

ـ إننا نتلقى كل أسبوع الكثير من هذه الحوادث .

ـ وما من واحدة منها غمضت علينا .

وشد بورش على أصابعه وبلع ريقه ثم قال :

ـ ماذا جرى لكارين أيها الملازم ؟

ـ قد قلت طعنها الجانى بسكين المطبخ .

ـ أوه .

قال بورش وعض على شفته .

ـ سكين المطبخ ذاك .

كان أخضر المقبض طويل النصل انغرس فى صدرها .

كانت ممددة قرب النافذة مفتوحة العينين .

ـ هل لك صديق يا بورش ؟

كانت إليز صغيرة لطيفة حالمة .. وهى مستعدة للذهاب معه آخر الدنيا .

أوه يا كلايد .

كم سأكون سعيدة لو أنى أحظى بك دائما ونهائيا .

باستطاعتنا أن نكون سعداء !! هكذا كانت تقول له .

وبعد أن جفف بورش عرق جبينه قال :

ـ إنى لا أريد حشر أحد فى هذه القضية .

ماذا ؟ قال له ماليز بلهجة الأمر .

ـ أتظن أننا أغبياء إلى هذه الدرجة حتى لا يتمكن من إيجادها ؟

وهز بورش رأسه قليلا ثم حدث نفسه :

لا لزوم للتفتيش عليها .

فهى ستهرع إليه حالما تعرف أين تجده .

لذلك قال الملازم :

ـ اسمها إليز فالديك ـ ٣٩٥ الشارع ٧٣ .

وكتب ماليز العنوان وكبس على زر بجانبه ثم أعطى العنوان إلى رجال البوليس .

وفى هذه اللحظة دخل براتسكى إلى المكتب وأعطى الملازم ورقة ما لبث أن طواها بعد أن قرأ ما بها ووضعها أمامه ثم قال :

أما زلت مصمما على القول بأنك لم تكن هناك ؟

وبأنك لم ترها منذ سنة ؟

ـ طبعا وهذا هو الصحيح .

وقال بورش بلهجة عادية :

ـ ولكن من أين وصلت بصمات أصابعك مكتبها :

مكتبها ؟ قال بورش ولكنه قد مسح جميع البصمات من كل مكان وكان حريصا للغاية من هذه الناحية .

فهل يجوز أن يكون نسى المكتب أو أن الملازم يجرب خدعه والتغرير به ؟

وقال تظن أننى أخدعك ؟

إذن سأحاول إعطاءك هذه النصيحة .

عد إلى الأرض واترك عالم الأحلام .

هل تظن أننى أخاطر بخداعك وعلى الأخص عندما يكون فى الوسط بصمات أصابع ظاهرة جلية .

وماذا سأقول للمحكمة عندئذ ؟

اسمع إننى لا أخاطر بمركزى وأنت رجل ذكى على ما بدا لى

لذلك يجب أن تقتنع بأننى أقول الحقيقة .

ولكن لم أقتل كارين .

ـ ليس باستطاعتى قتل أحد .

عندئذ قفز ماليز إلى الأمام وألقى هذه الكلمات بصوت مرتفع

ليس لديك أى حظ للإفلات وسأجد جميع الدلائل وسأعرف كل ما فعلته .

إنى أعرف كل تفكير فى رأسك مهما كان خفيا وباستطاعتى أن أقلبك رأسا على عقب فأنا أكره كل قاتل .

ثم هدأ قليلا .

وبعد لحظة توصل إلى أن يبتسم وظهرت أسنانه القوية المتناسقة .

وتابع : لقد قالت أمام الجميع بأنها لا توافق أبدا على الطلاق .

إذن هذا هو السبب فى تصرفك .

أريد أن تكون واضحا وهذا كل شيء أطلبه فى الوقت الحاضر ...

وأمسك براتسكى ببورش من ذراعه وخرج به من الغرفة .

وقال له الرجل الضخم وهو يسير به فى الرواق الخارجى :

- اسمع من الأفضل لك أن تعترف بكل شىء فإنك لا تستطيع اللعب على الملازم إنك لست من عياره .

وقال بورش بصوت جامد وهو يهز رأسه :

- إذن فتشوا عن قاتل غيرى .

- لست أنا القاتل .

وهز يراتسكى بكتفيه وأخذه إلى غرفة مجاورة حيث جلس بورش تحت مراقبة أحد رجال الشرطة مشوش التفكير .

هل كان معه حق ؟

إن ماليز لم يحتج إلا إلى عشر دقائق فقط ليتهمه بجريمة قتل .

وبينما هو أثناء هذا الاستجواب فقد يكون هناك عشر أو خمسون رجل مباحث ينقبون ويفتشون على الأدلة والبراهين .

إنهم يقرعون الأبواب ويسألون وصورته بيدهم .

هل تعرفون هذا ؟ اجيبوا .

حدثونا عن الخلافات التى كانت تحصل بينه وبين زوجته قبل أن يتركها .

قولوا لنا عن تلك المشاهد كيف كانت تثيرها وكيف كانت تشعل نار غضبه ..

قولوا كيف كانت تبدو عندما تصرخ بوجهه قائلة :

ـ إنك تكرهنى .

إنك تريد التخلص مني وتريد قتلي .

قولوا لنا أيضا كيف كانت إليز وبورش يتناوبان من أعماق نفسيهما وكيف أخذ موعدا من كارين نهار أمس بعد الظهر .

ثم جاء وقال لإليز :

لا تهتمى للأمر يا عزيزتى .

سأكون حازما هذه المرة .

فى الأحد القادم باستطاعتنا الزواج إنى أعدك بذلك .

هل ستعبد إليزا هذه الكلمات ؟

هل سيتوصلون إلى انتزاعها منها ؟

وفكر أيضا بخبراء المختبر مع آلاتهم الدقيقة كيف يفتشون وينقبون عن أدنى إشارة أو دليل في سكن كارين ثم كيف يجمعون تلك القرائن والأدلة ليؤلفوا منها وحدة متماسكة إنهم سيعلمون تفتيشه درج كارين .

لقد أخذ كل أوراقه وكل شيء يخصه فكيف سيفسر لهم ذلك ؟

وأخذ يئن أنينا خافتا وهو يخفي وجهه بين يديه .

إنه يعرف كارين تماما ويعرف بكل تأكيد أن لها عشيقا وبأنها ربما أثارته وصرخت بوجه ذاك العشيق تماما كما كانت تصرخ بوجهه وهي تقول :

اقتلني .. إن هذا ما تريد .

هيا قم لعملك .

ولكن إذا قال هذا لماليز فيعني ذلك أنه يعطي للملازم دليلا جديدا ضده كما أنه إذا قال له بأنها هي التي فتحت له الباب عندما ذهب إلى هناك فهذا مما يعقد الأمر أكثر وأكثر بالنسبة إليه .

إن كـل كلمـة صـريحة صـادقة مـا كانـت إلا لتثبـت الجريمـة عليه ...

إن ماليز يمسك بضحيته البريئة .

إنه يمسك بكلايد بورش .

فى الساعة الثالثة بعد الظهر عاد يراتسكى ببورش إلى مكتب الملازم .

وكان يجلس فى الطريق المقابل من الغرفة رجلان آخران غير أنهما لم يتدخلا فـى الأمر ، والمقابلـة جرت بـين مـاليز وبـورش شخصيا .

وسأله الملازم

ـ إذن ماذا قررت ؟

هل أنت مستعد للكلام ؟

فأجابه بورش بوهن ظاهر :

ـ لو أنك تفتش عوضا من أن تكتفى بتعذيبى فإنك تجد المجرم حتما .

ـ لقد فتشت ، كنت على موعد مع زوجتك نهار البارحة بعد الظهر .. وحاولت أن تكون حازما معها .

كما وإنك توقفت في المقهى المجاور لتجرع كأسين بسرعة .

ـ لقد كنت ثملا يا بورش والرجل الذى سقاك الكأسين لاحظ ذلك .

وبالفعل كان قد جرع كأسين .

غير أنه لم يكن ثملا إنما مضطرب الأعصاب فقط .

ثم صعدت في الساعة الخامسة سلم منزلها .

وقد شاهدك أحد الجيران واسمه رابيون .

كما شاهدتك حارسة البناية السيدة كورتز .

لقد شاهداك تدخل الممر ثم تضغط على جرس الباب .

كان هذا صحيحا ...

فقد بهره ضوء النهار وانحنى محدقا بجانب الباب ليقرأ الاسم يجب أن يقرع الباب المراد ليفتح له .

ثم ردت عليك .

وصعدت ومكثت هناك نصف ساعة .

واتخذت قرارا عنيفا ثم طعنتها بسكين المطبخ وبعدئذ هرعت إلى الأدراج وفتشتها وتفحصت كل شيء فيها .

ـ فماذا كنت تريد ؟

ـ لاشيء ...

قال بورش إنى لم أكن هناك .

ونزلت فى الخامسة والنصف بادى التعب والإنهاك وكان وجهك محفرا .

هكذا وصفك رابيون .

ـ وهذا طبيعى .

كيف لا يحفر وجهه ولا يضطرب عندما يكتشف جثة المرأة التى كانت زوجة له وهو معها الآن على خلاف .

كيف لا وعندما يفكر فى المأزق الذى سقط فيه .

هذا ما كان يحدث فيه بورش نفسه .

وتابع ماليز قائلا :

وفى الساعة السادسة إلا الربع اتصلت بالهاتف بالآنسة فانديك لتلغى موعدك في المساء .

وقلت لها بأنك لم تر زوجتك ولم تكن عندك الشجاعة لمقابلتها .

ولكنك تكذب يا بورش .

وفكر بورش بنفسه قائلا :

- طبعا إنى أكذب .

من غير الوارد أخلاقيا زج إليز فى هذه القضية .

لم أرد مطلقا مشاركتها لى فى هذه الفظاعة ولكننى فشلت فى هذا أيضا .

ولماذا لا تحاول معرفة من كشف كارين أمس .

سأله بورش بصوت متجهم :

ولماذا أقول أشخاص آخرون فى البناية فماذا تصنع بهم ؟

وقال له ماليز :

هناك عشر شقق فى البناية ، خمس منها فارغة إذ إن أصحابها فى فرصة نهاية الأسبوع وباستطاعتهم إثبات ذلك .

ثم هناك تلك العجوز ابنة ٩٥ سنة فهى لا تستطيع رفع السكين فكيف بالقتل ؟

وهناك أيضا الزوجان الموجودان فى الشقق الثانية .

كانا فى بيتيهما وعندهما بعض الأصدقاء وقد تحققنا من ذلك ..

كما وأنه توجد الفتاة التى فى الطابق الثانى فقد كان عندها شخصان يشاهدان التليفزيون .

وأخيرا رابيون هذا الذى شاهدك ووصفك لنا .

وصرح بورش قائلا :

رابيون ؟ هو أيضا ؟

كيف كان يبدو ؟ وكيف تعرف أنه ليس هو قاتل كاترين ؟

لأنه كان على السطح يتكلم مع الحارسة وهما اللذان شاهداك .

اسمع يا بورش إننا نعرف عملنا وقد مضى علينا زمن طويل ، زمن نقوم فيه بهذه الأعمال .

لقد درسنا كل الإمكانيات من جميع الوجوه ولم نجد إلا جوابا

واحدا هو أنت .

ولكنى لم أكن هناك .

إن بصماتك كانت هناك .

وتتابع الحوار على هذا النمط عدة ساعات وماليز يتتبعه نقطة نقطة .

فبصمات الأصابع مع نقط الدم على الحذاء الذى كان يلبسه أمس والقطعة الصغيرة من سترته التى وجدت عالقة فى زاوية المكتب ـ مكتب كاترين ـ إن هذا كله كان من الأدلة والبراهين القاطعة الواضحة .

وواصل ماليز تدميره بأسئلته وبراتكسى يرجوه ، وكل واحد كان يجرب بمفرده بطريقته غير أن الرصاصة كانت تعود دائما إلى ماليز الذى يبدو أنه حاقد على بورش .

وينتاب هذا الأخير شعور بالشراسة والحقد ضده .

لم يكن لهذا التصرف أى سبب سوى أن هذين الرجلين هما الآن خصمان وكل واحد يحاول إثبات وجهة نظره .

فالضابط موقن كل اليقين بأن بورش هو الجانى وبورش برئ

من التهمة المنسوبة إليه .

ومن هنا جاء هذا النفور بينهما عند أول لقاء لهما .

ودافع بورش ما استطاع عن نفسه .

وكان يهز رأسه بعنف ولكنه أخذ يفقد الأمل والإرادة شيئا فشيئا .

وبدأ الفراغ يتسع في دماغه ثم وجه نظره إلى يرتسكي وشجعه هذا الأخير بحركة من رأسه وقال :

ـ هيا يا بورش أنت تعرف أنك كنت هناك ، ولماذا تحاول الإنكار ؟

صحيح لماذا يحاول الإنكار ؟

صحيح لماذا يحاول الإنكار ؟ وماذا يفيد ذلك ؟

إذا اعترف بوجوده هناك قد يتركوه بعض الوقت لشأنه ؟

يتركوه ليرتاح .. فهو منهوك القوى متعب .

فالأدلة تثقل عليه .

وفوق كل هذا لم يكن بذاك الكذاب العتيق اللبق .

إنه يؤمن بالحقيقة وبالعدالة ..

إنه يؤمن بطبيعة البشر ..

وفرك جبينه قليلا ، ثم استلقى على مقعده إلى الخلف وحاول الكلام . غير أن صوته اختنق فى حنجرته وأخذت يداه ترجفان ومعدته تهدر ، وشعر بضيق فى نفسه .

ثم قال بصوت كأنه البكاء :

نعم كنت هناك .

ولكن يا للغرابة .

بعد اعترافه هذا شعر بشىء من الارتياح .

- فعلا ذهبت إلى شقتها ووجدتها ممددة على الأرض قتيلة .

- لقد حصل ذلك قبل دخولى مباشرة .

- لقد أمسكت بسماعة الهاتف وكدت أن أتصل بالبوليس ولكنى عدت وخفت من أن أتهم .

- هكذا فكرت وأرجعت السماعة إلى مكانها وأخذت أفتش فى كل مكان .

ـ لقد فقدت عقلى .

ـ وبعد برهة انتبهت وقلت فى نفسى إننى أتصرف كالأبله فماذا أصنع هنا .

ـ وأخذت أمسح البصمات ، بصماتى وبعد ذلك خرجت وذهبت إلى بيتى بواسطة المترو .

وسأله ماليز :

ـ من الذى فتح لك الباب ؟ وكيف دخلت إلى البناية ؟

ـ قرعت على الجرس أولا .

تقول إنها كانت ميتة حينئذ فكيف يمكن أن تفتح لك .

ـ إن إجابة السؤال تكمن هنا .

قال بورش بجدة :

ـ ولأجل ذلك ترانى أحضر فى رأسى أن القاتل كان هناك عندما قرعت الجرس .

ـ إنه بنى مخططة على هذه النقطة .

ـ هل التقيت بأحد على السلم ؟

ـ كلا ... يجب أن يكون قد هرب بواسطة المنفذ الذى يؤدى إلى اسطح ، سلم الحرائق .

كان سلم الحرائق مدهونا حديثا ولم نجد عليه أى أثر .

كما وأن الدرج الذى يؤدى إلى السطح كان يعلوه الغبار ولم يمس منذ عدة أسابيع .

ـ أين ذهب إذن ؟

قال ماليز ساخرا :

أين ذهب ؟

وقال بورش بتمهل :

ـ كان يوجد شخص هناك يجب أن يكون هناك .

وانحنى ماليز إلى الأمام كما لو أنه استعد ليستلقى بورش فقد بدا عليه أنه سينهار على الأرض وقال :

يجوز أن يكون قد ضغط على جرس الجيران .

ورفع بورش مسرعا وقال :

ـ أيها الملازم إنى أقول الحقيقة الآن .. كل الحقيقة .

- كان بإمكانى أن أقول لك نعم ضغطت على زر الجيران ولكن هذا غير صحيح .

لقد تفحصت جيدا المكان وقرأت اسمى هناك .

- فكارين كانت ما تزال تستعمل أحد بطاقاتى الشخصية واضعة أمام اسمى كلمة (السيدة) بالحبر الأحمر .

- هذا صحيح .

قال ماليز وظهرت على شفتيه ابتسامة عريضة :

.. بينما عض بورش على شفتيه .

لقد غرروا به .

فقد سنح له الحظ غير أنه لم يعرف كيف يستفيد منه .

ونهض ماليز من مقعده وقال موجها كلامه ليرتسكى : هيا بنا نقوم بزيارة لشقة السيدة بورش . فباستطاعته هناك أن يقول لنا كل شيء كيف قام بعمله مع المكان الذى أخذ منه السكين وكيف قتلها .

وبعد أن ابتسم ماليز قليلا تابع :

- سيكون لعملنا هذا الوقع الحسن يا لو .

- إننا سننتهي من هذه القضية بأسرع ما يمكن وذلك قبل أن يعود رجال الأدلة الجنائية .

وخرجوا من أحد الأبواب الجانبية وجلس بورش في المقعد الخلفي من السيارة بين الملازم ويرتكسي بينما جلس في المقعد الأمامي شرطيان آخران .

وانطلقت السيارة بسرعة في الشارع ثم توجهت نحو الجنوب .

- إني أعرف ماذا حصل .

قال بورش :

كان القاتل على علم بمجيئي .

ولذلك انتظر حتى أرن الجرس ففتح الباب بالمفتاح وتركه مغلقا ونفذ عمله ثم اختبأ بينما كنت أصعد السلم .

وأين اختبأ ؟

فلا يوجد خزائن ولا حمام ولا أي شيء يستطيع الاختباء فيه .

- إذن يكون قد ذهب إلى شقة أخرى .

قال بورش بصوت أجش :

- إن رايبون يسكن هناك .

- وهو الذي قتلها .

- لقد كان في الشارع عندما قرعت الجرس .

- عليك أن تثبت ذلك .

واسترخى بورش على المقعد .

وأخذ شعوره يتضاعف بأن رايبون هو قاتل كارين .

وكارين هي التي أجبرته على ذلك في إحدى نوباتها العصبية .

- ولكن كيف يثبت هذا ؟

- لم تكن هناك أية ثغرة في الأدلة والبراهين .

فإما أن يكون دماغ بورش منهك متعب أو أنه لا يوجد نقطة ضعف .

وأخذ يسائل نفسه مدة من الزمن فيما لو لم يكن هو الفاعل الحقيقي .

ـ كلا ...

قال بصوت عال وحازم .

وربت برتسكى على ركبتيه وهو يقول له :

ـ اهدأ .. اهدأ .. إننا لم نصل بعد .

ولم يشاهدهم يدخلون سوى بعض الأشخاص فقط .

لقد نزلوا من السيارة وسار بورش وبرتسكى أولا ثم الملازم وأخيرا الشرطيان .

وانحنى برتسكى فوق بورش ليفتح الباب الزجاجى للمدخل ودخل بورش بينما بقى برتسكى ممسكا بالباب ليدخل الآخرين .

قال بورش :

كانت الشمس تلمع .

... وانتظرت بعض الوقت حتى تعود نظرى على العتمة .

ـ ثم تعرفت على بطاقتى الشخصية وضغطت على الزر هكذا .

وانحنى على الجرس الثانى من الطرف .

ـ ماذا تحاول أن تبرهن لنا ؟

قال ماليز :

ـ إن هذا ليس جرسها .

ـ إنه جرس السيدة هنشو .

المرأة العجوز ..

ـ هنا ضغطت أمس .

ولكنك قلت لنا بأنك عرفت بطاقتك الشخصية المكتوب عليها بالحبر الأحمر كلمة السيدة هل تتذكر ؟

ـ نعم ... ولكن .

ـ إذن .

ـ انظر جيدا .

وانحنى بورش ولاحظ خطأه ثم سمعت منه همهمة .

واستدار وفتح الباب .

وابتدأت فكرة غامضة تتبلور وتتجسد في رأسه غير أنه لم يستطع التفكير بوضوح .

ـ دلنا أين يمكن لأحد أن يختبئ .

قال له ماليز :

وأخذ بورش يتفحص الرواق .

إنه فارغ ليس فيه أية خزانة ولكن ..

إن ساقى بورش أخذتا ترتجفتان قبل أن يصل إلى نصف الطريق للطابق الأول .

لقد كان السلم ضيقا واتكأ على يرتسكى .

إنكم تريدون أن أعيد عليكم تماما ما فعلته نهار الأحد أليس كذلك ؟

قال بورش وهو يعبث بحاجبيه :

ـ نعم .

وتابع صعوده بخطوات مرتجفة .

وفى الطابق الثانى لا توجد أيضا أية خزانة ما عدا بابان يؤديان إلى شقتين مختلفتين .

واستدار وأخذ يصعد إلى الطابق التالى .

واستعدا الشرطيان للحاق به فيما لو حاول الفرار .

وسمعت بعض الأصوات فى مكان ما فوقه .

يوجد أحد هناك فوقنا .

أظن أنه صوت المفتش ..

سيرانا نقفل القضية أليس كذلك يا لو ؟

وأجابه يرتسكى بهمهمة قصيرة بينما تابع بورش صعوده وفى أول الطابق الثالث توقف لم أقرأ جيدا رقم شقتها لقد كان الرقم ٢ وليس ٤ .

وبينما كان يرتسكى يلاحظه جيدا اتجه بورش نحو الباب الأخير .

وقرع عليه بشدة وهو يقول :

ـ لقد دخلت إلى هنا .

ـ وقالت لى المرأة أين أجد كارين .

واستعد ماليز أن يحتج ولكن الباب انفتح الآن وظهرت منه المرأة العجوز بشعرها الأبيض وابتسمت .

لقد دققت على جرسى .

قال بورش وهو يأمل بأنها ستعرفه .

ـ آه .. نعم .. ماذا تريد ؟

ـ هل تتذكرين يوم الأحد الماضى ؟

ـ طبعا .

وظهر فى عينيها بريق خفيف من الفرح .

ـ هل تتذكرينى ؟

ـ كنت أسأل عن السيدة بورش .

وعبست قليلا ثم قالت :

السـيدة بورش ؟

تلك السـيدة التى ...

وارتجفت شفتا العجوز وارتدت إلى الوراء خائفة .

وسألها ماليز :

ـ هل رأيت هذا الشخص قبل الآن ؟

وبعد أن هزت برأسها قالت :

كلا وإلا لكنت تذكرت أيها الفتى .

وانتظرت قليلا وبما أنها لم تسمع أى كلام دخلت وأقفلت الباب وراءها .

واتجه ماليز نحو بورش وهو يقول :

تعال .

فمهما حاولت فلن تستطيع خداعنا .

ـ ولكنكم ألم تلاحظوا أنها خرفانة لا تتذكر شيئا .

ـ لقد قالت إنها لم ترك أبدا .

وشعر بورش بقواه تخور .

لقد كاد أن يخرق الطوق وتظهر الحقيقة ولكنه عاد وأقفل حوله من جديد .

ولكن إذا عرفته العجوز فماذا يثبت ذلك ؟

ـ لا شيء طبعا .

وعندما وصل بورش إلى الطابق الرابع اضطر أن يخفف سيره واتكأ على الجدار إنه متعب للغاية ...

ولم يكن يقدر أن يسير خطوة واحدة أكثر .

... وسمع الأصوات الآتية من جانبه .

لقد أصبحت واضحة الآن إنها تصدر من شقة كارين بجانبه .

- هل انتظرت هنا ؟

سأله ماليز .

.. وبما أن بورش لم يجب صرخ فيه الملازم ثانية وهو يقول :

هيا أسرع فكلما أسرعت فى قول الحقيقة كلما اقتربت من النهاية واسترحت .

فأخذه ماليز من ذراعه بعنف وجذبه .

وشعر بألم وتحرك تفكيره بعد ذلك .

وظهرت الحقيقة أمامه بوضوح .

لقد لمعت فى رأسه لمعان البرق وأنارت له دماغه وأخذ يتقدم ببطء .

وفى الطابق الرابع قرأ هذا الاسم على أحد الأبواب

(ريتشار رايبون) .

وألقى بورش نظرة خاطفة على يرتسكى حولت انتباه الرجل إليه بصفة خاصة .

ثم لمسه على كتفه فيها .

وشعر بورش بقوة صلبة تجرى فى كيانه وبشىء جديد مفعم بالأمل بثبات تفكيره .

وقال بصوت رنان :

ـ لقد عرفت .. عرفت الآن .. فهمت كل شىء ..

وتمتم يرتسكى بكلام غير مفهوم .

.. بينما أخذ ماليز يشتم .

وصرخ بورش بصوت عال حاد سمعه الجميع .

رايبون .. يجب أن يكون القاتل أحد الذين يسكنون البناية .

إن رايبون هذا قد غير كبسات الجرس .. جرس كارين وجرس المرأة نهار أمس وعاد فى الليل بعد الحادثة وأعادهما إلى مكانهما .

إننى لم أخطئ فقد قرأت اسم كارين بوضوح .

وكان جرسها الثانى من اليمين .

وسمع بورش أحد الأشخاص ينزل على السلم بسرعة وشاهد المفتش يستمع إليه بانتباه كلى بينما تابع بصوت واضح :

ـ ألا تفهمون ؟ ..

ـ لقد قتلها رايبون قبل أن أصل .

ثم بعد ارتكاب الجريمة نزل فى المساء وأعاد الأجراس كما كانت من قبل .

وهذه الأجراس هى البرهان الحساس الفعلى لما أقول .

إن بصمات أصابع رايبون يجب أن تكون على قفاها .

وانفتح باب رايبون فجأة وظهر منه رجل أحمر الشعر قوى العضلات واتجه مسرعا ينزل السلم الذى يؤدى إلى الطابق الأرضى وهجم عليه الشرطيان وأمسكا به فصرخ بهما :

اتركونى .. اتركونى ..

غير أن عينيه الشاردتين خانتاه .

وهنا قال المفتش لماليز :

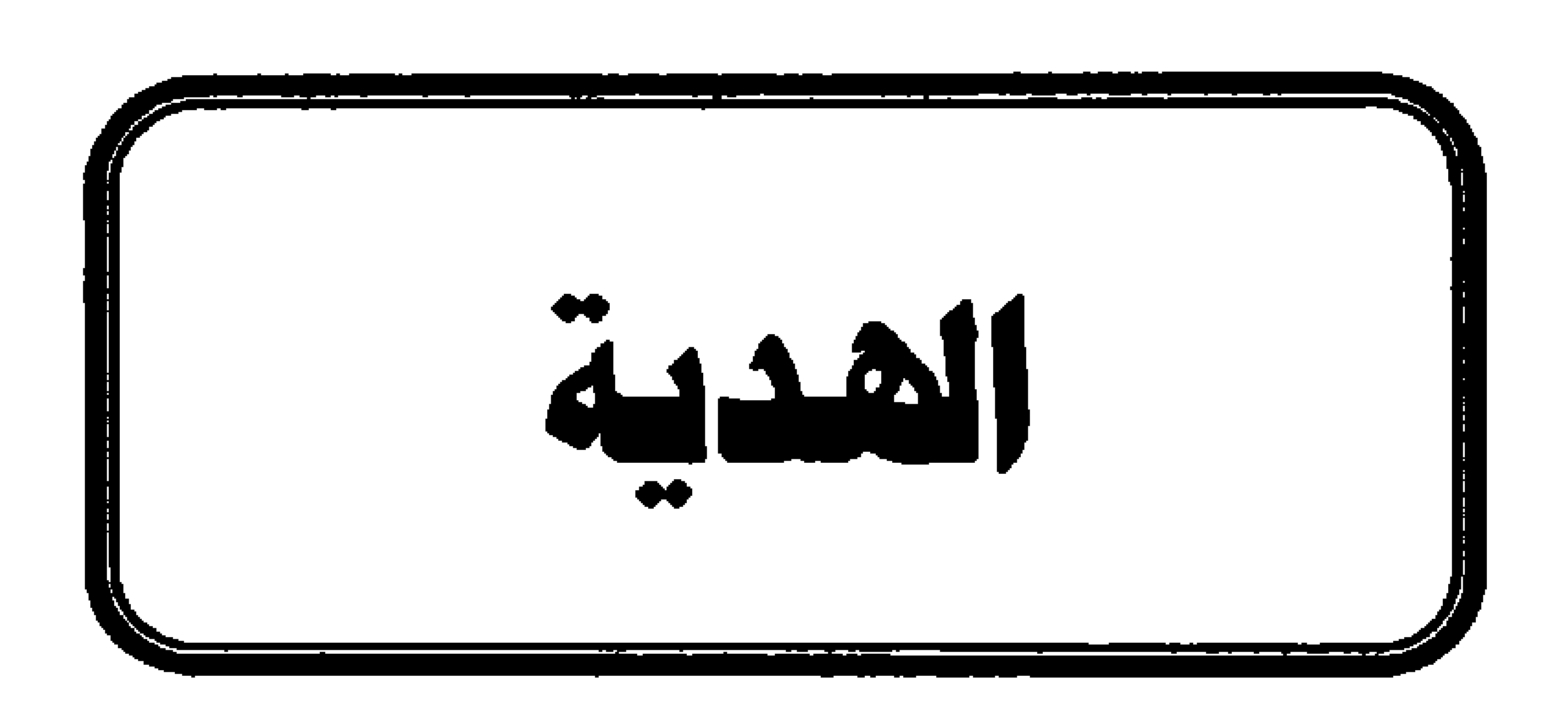
يا للشيطان ماذا كنت تحاول يا ماليز أن تجعلنا نعتقد .

وتنفس بورش الصعداء .

تنفس نفسا طويلا وجلس على الأرض يرتاح .

... لقد انكشفت الجريمة وتخلص من المأزق .

... وفى المساء سيقابل إليز استعدادا لأيام جميلة قادمة فقد انتهت متاعبه .


الهدية

الهدية

كان ثمة نشارة خشب كما يوجد عند القصابين تغطى أرض الحجرة التى وقف فيها جاك كلوزون بانتظار الرجل الذى يتأهب جاك ليقتله ، ومهما يكن هذا الرجل قد فعل فإن جاك لا يكرهه ، ولكن لابد من أن يموت ولابد لجاك من أن يقتله كلا ، ليس بدافع البغضاء بل بحافز الحب للونا .

وكان لا يكف عن مخاطبة نفسه قائلا :

ـ لن أكون وحيدا . ولكن لن يكون سواى .. وهو لن ينجو فى أية حال ..

ولكن عبثا كان يحاول إقناع نفسه . وكان كلوزون يحس فى حنجرته جفافا غريبا فيقاوم الرغبة فى التنفيذ بكل قواه .. أنوار قوية ، قوية بشكل هائل ، كانت تسقط من السقف فى الطرف الآخر من الحجرة فتغمره غمرا ، أما الطرف حيث يقف فكان مظلما ، والرجال المحيطون به كانوا يلقون ثقل أجسامهم تارة على

هذا الساق وطورا على الأخرى وهم يسعلون بعصبية ، وتوقف السعال بغتة عندما فتح الباب في الطرف ، وتصلب كلوزون وهو يناضل الرغبة التي اعترته في ترك ما كان يمسك بيده وإطلاق ساقيه للريح .

ودخلت جماعة من الناس ولكن عينى كلوزون لم تر منهم غير الرجل الذى كان يرتدى قميصا مفتوحا .

وبينما كان يراقبه غمر الرجل الذى كان وجهه كالورق بعينه ورطب شفتيه بلسانه

" لا أستطيع فعل هذا "

هكذا كانت أفكار كلوزون تدور في رأسه كأنها الفئران المحتبسة فى المصيدة ..

لن أفعله لن يستطيعوا إيذائى إن أنا رفضت ..

كان الرجل يتقدم بخطى ثابتة ورأس مرفوع وفاحت رائحة الطرية كانت رائحة الخوف .

بدأ كلوزون يتحرك ثم تذكر : على أن أقدم . يجب أن أفعل . فى جميع الأحوال يوف يموت . لقد قتل بريئا ..

وأوثق الحراس ذراعى الرجل ذا القميص المفتوح بحركات سريعة وشدوا الوثاق بإحكام . وقرأ له المعرف كلمات فى كتابه الصغير وفوق قلبه علقوا دريئة

وبدأ الرجل يؤرجح رأسه يمنة ويسرة وظل رأسه يتأرجح بعد أن سقطت عليه الطلقات .

أحصى جاك كلوزون نقوده خمسة وعشرين دولارا هذا قليل وبخاصة لقتل رجل . وارتعشت يده فجأة عندما راودته هذه الفكرة .. كان باستطاعته أن يكسب مثل هذا المبلغ من عمله النظامى فى صبحة واحدة . ويمكنه أن يشتغل ستة أيام فى الأسبوع . بغض النظر عن الساعات الإضافية . إذن فما قيمة هذه الدولارات الخمسة والعشرين ؟

لا قيمة لها .. حياة الإنسان لها قيمة فقط . زواج إنسان آخر له قيمة وحسب . كان كلوزون يحب زوجته . وها هو الآن أقدم على القتل من أجلها . وكانت المرة الأولى التى يكسب فيها منذ شهر وهذا ما لم يتطلب منه العمل أكثر من دقائق معدودات شىء جميل . هى تحب الهدايا . سوف يجعلها تبتسم وتلقى بنفسها بين ذراعيه ويعود كل شىء بينهما إلى أحسن حالاته .. هل يعود كل شىء

على ما يرام ؟

واتخذ الطريق الجديدة فى العودة . وكانت أطول حقيقة ، وكان ثمة أخرى مباشرة لبلوغ مخيم العربات ، ولكنه كان يجب أن يتخذ الطريق الجديدة ، فقد أسهم فى شقها وكانت قد أنجزت لشهر خلا والحقيقة أنه لم يبق للونا الكثير من أرباحه الأخيرة . من النقود التى أعطاها إياها كلوزون عندما كانت العلاقات طيبة بينهما ، ولكن انتهى أمر انتظارهما ، كان معتكر المزاج وهى كانت كذلك ، وكم تشاجرا وصاح أحدهما بعد الآخر .

هى كانت تواقة إلى الاستقرار فى مكان ما وهو راغب فى الاستمرار والتنقل وتلك هى قضيتهما والاحتكاك المستمر بينهما تركها على حال من التوتر والغضب الدائم فقضيا الأسابيع الأخيرة مفترقين .

وكان أحدهما والآخر يعرف أن الفراق بينهما أمر محتوم . ويعرف كذلك أن رفيقه يعرف ذلك .

وكان الوضع بينهما جحيما حقيقيا فهو راغب فى لونا رغبة عنيفة .

وكان جاك يعرف أن لابد له من فعل شىء ما ليثبت لها أنه

راغب فيها ، وكان لابد من أن يكون هذا الشيء خارجا عنهما .

كان منظر الرجل المتأرجح الرأس يمنة ويسرة ، كما لو أنه يبحث عن مخرج . وهو يعلم أن لا مخرج له . ثم العلقات التى جرشت جسده ..

ولدى هذه الذكرى المستعادة انحنى جاك فوق مقود سيارته وانطلق مسرعا وقد داخله الأسف لأنه اتخذ الطريق الأطول لأن صبره كان قد نفد بانتظار بلوغ مخيم العربات وتقديم دليل حبه للونا .

ولونا تحب دائما أن تقدم لها الهدايا .. وشرع يضحك . ولكنه لم يشترها بعد . بيد أن هذا لن يستغرق وقتا طويلا ، وكان ذلك اليوم هو الذى تظل فيه حوانيت المدينة الصغيرة مفتوحة حتى ساعة متأخرة ، ورأى لافتات النيون تومئ إليه داعية بينما راح يصف سيارته بعناية .. معظمها كان أحمر . أحمر لون الدم .. الدم الذى خضب نشارة الخشب عندما انصبت الطلقات على الرجل لم يصرخ . زمجر فقط ، ثم انحبس الدم ..

سيقدم دليل حبه للونا .

عندما لم ير جاك نورا فى العربة اعتقد أن لونا ربما آوت إلى

سريرها . سيوقظها في هذه الحالة .. لا يمكنه أن يظل وحيدا لأن مع هذا الثقل الذى يرهق عقله ويحط على قلبه من أجل لونا فعل ذلك . ولونا وحدها تستطيع أن تعيد إليه توازنه .. بين ذراعيها فقط يقدر على النسيان .. ربما تكون قد استلقت في الظلام كما كان من عاداتها أن تفعل أحيانا . وبهدوء فتح الباب . ونادى ملطفا صوته :

- لونا ...

لم يتلق جوابا . وتبينت عيناه فى الظلام أنها لم تكن فى السرير .. وزمجر وأضاء النور .

دفق النور المفاجىء جعله ينتفض ويشتم ، وخلال لحظة خيل إليه أنه يرى رجلا تحت النور موثق الذراعين مع دريئة دامية على صدره ، ارتاع كلوزون ارتياعا هائلا وجمد فى مكانه بانتظار هدوء ضربات قلبه ، وراح يتفحص العربة بنظراته .

وجد الفوضى الشاملة تعمها فالثياب مبعثرة فى كل مكان والسرير أشعث وعلى الأرض سلة طافحة بالأوراق ، مناديل كلينكس ملوثة بأحمر الشفاه وغبار مسحوق الأرز ، كل ذلك جعله يتصور أنها مضت تقابل بعض الناس فى مكان ما وتأكد بسرعة

أن أشياءها ما تزال هناك . إذن سوف تعود ولكنه لم يكن ميالا إلى الإقامة بانتظارها ، لن يقيم بمفرده .

وسأل بصوت قوى دوى فى العربة الخاوية :

ـ ولكن لماذا تكونين هنا ؟ أردت أن أقدم إليك الهدية التى اشتريتها من أجلك .

وطبع اليأس وجهه وهو يتأمل الصرة الملفوفة بشكل فنى . كان يملك المبلغ اللازم بالضبط . رقعتان من ذات العشرة الدولارات جديدتان تماما وواحدة من ذات الخمسة وعشرين دولارا للهدية والباقى ثمنا لزجاجة من خمرة (البوربون) ويبقى له بعض النقود الصغيرة .

حياة رجل : هدية ، زجاجة بوربون : رجل وامرأة سعيدان وزواج نجا من المخاطر ، هل هذا صحيح ؟ لأنهما كانا هناك فهما حقا هناك ...

وعلى المائدة استقرت زجاجة من سعة ربع لتر وكانت فارغة تقريبا ، هذا أمر عادت لونا إلى ممارسته ، وهى تمارسه عندما لا تسير شئونها على ما يرام لو أنها فقط قاسمته الشراب ولكن ليس عندما تكون على مثل المزاج الشديد الاعتكار .

وبعد .. كانا واثقان أنهما سوف يتشاجران ويقذف أحدهما الآخر بتهديدات جوفاء لا معنى لها كمثل سائر مشاجرتهما .

ودوى صوت كلوزون في أذنيه :

ـ هل يرضيك بقاؤك هنا ؟ إذن يمكنك البقاء .. وحدك ! أما أنا فماض .

ويعلو صوتها شديد النفاذ والحدة .

ـ سوف أقتلك ! سوف أقتلك !

وكان كل منهما يعرف حق المعرفة أن صاحبه لا يعني ما يقول وتنهد جاك وخرج ليتوجه إلى عربة (روان) كان (أد) و(بيتي) روان الصديقين الوحيدين اللذين بقيا في مخيم العربات أما معظم العمال فقد انصرفوا بعد إنهاء العمل على الطريق الجديدة . وحسدهم جاك . إنه يتوق إلى الشعور بالحرية في أثناء الرحلات الطويلة عبر الولاية . أما لونا فلا .. وتنهد من جديد .

وأحس بثقل مرهق يجثم على صدره . وتساءل عن نصيب زوجته في بعث هذا الإحسان المضني وعن نصيب الرجل الذي ساعد على قتله فيه أيضا .

ضجة منبعثة من الراديو والتليفزيون ، رائحة حساء أعد متأخرا همس حديث أصوات أطفال .. ربما لو أنهما رزقا أطفالا .. ولكن كلا منهما أراد أن يبدو عصريا أن ينتظر وتمتم بغتة بمرارة : ليتنا فعلنا .

وتنبه إلى نفسه بغتة وهو يقرع باب عربة روان .

وقال فى نفسه وهو يقرع أن لا جدوى من ذلك . إنه يسعى عبثا ، وغار قلبه بين أضلاعه وخيل إليه أنه يغرق فى لجنة لا قرار لها . الهاوية بينه وبين لونا غدت شديدة الاتساع الآن بحيث لا تقوى هدية على ردمها ، لقد أقدم على عمل هائل بلا طائل .

لم يكن اد وبيتى يتشاجران أبدا فحياتهما هنية وهو يقول لها دائما : (أجل يا حبوبتى) وهى تقول له (طبعا يا حبوبى) وكانت لونا هناك وما إن وقعت عيناها عليه حتى لاحت على ثغرها ابتسامة هروب . إنه على حق . فقد فات الآوان . صحيح إنها لم تكن تظهر أمام الآخرين بمظهر المشاكسة الجارحة ولكنها لم تكن بالمقابل تمثل له مسرحيات الحب وكانت السيدة شينر العجوز موجودة هناك أيضا وهى صاحبة المخيم ضئيلة الجسم شعرها أبيض فى كل اتجاه . وكان سنها ومركزها يضفيان عليها صفة الامتياز

وهى لا تعدم وسيلة للإفادة من هذه الصفة .

وقالت بلهجة طليقة موجهة كلامها إلى القادم الجديد .

ها نحن أخيرا . أحسب أنك كنت فى السوق بينما كانت زوجتك المسكينة هنا معنا . إذا راودتها فكرة هجرانك فلا تلم إلا نفسك . أنا أقول لك هذا يا كلوزونى وطريقتك هذه فى الصراخ والتهديد .

وسأل جاك بابتسامة مغتصبة :

ـ ولكن ما قولك فى طريقتها التهديدية هى يا سيدة سينر ؟ .

رفعت لونا عينيها . ولحظ جاك أنها لم تعتبر قولته إهانة ، فهل يمكن بعد كل شىء ألا يكون الأوان قد فات ؟

واستدارت عينا السيدة العجوز اللامعتان صوب آل روان وهذا دل على أنها غير راغبة فى إضاعة دقيقة أخرى من وقتها الثمين مع جاك .

قالت بلهجة آمرة كما لو كانت فى بيتها .

ـ افتحى التليفزيون أريد الاستماع إلى الأخبار .

أطاعت بيتى على مضض كما بدا منها بينما كان اد يتحاشى

نظرات جاك .

وظهر وجه المذيع على الشاشة . وعلا صوته : (إنها الولاية الوحيدة التي يمكن فيها اختيار مثل هذه الوسيلة لتنفيذ الحكم ...) ويبدو أن بيتي قد تضايقت فخففت الصوت بينما قالت السيدة العجوز باضطراب :

ـ ها قد تأخرنا في فتح الجهاز ففاتتنا البداية .

وتابع المذيع :

ـ .. علقت دريئة فوق قلب المحكوم عليه بالإعدام و ...

وعلقت العجوز بانزعاج :

ـ أوه ! هذا هو الشقي الذي جاء من جنوبي الولاية وقتل شريكه .

ـ .. وكانت فرقة التنفيذ مؤلفة كالعادة من متطوعين مدنيين مأجورين و ...

وارتعدت بيتي وقالت :

ـ أوه .. أفضل عدم الإصغاء إلى هذا الوصف ! .

وتقلص وجهها وسدت أذنيها براحتى يديها . وتبادلت مع اد نظرة . أما السيدة شينر فلم تفارق الشاشة بنظراتها . وكان جاك كلوزون جالسا . متصلبا لا يقول كلمة ، ثم إنه اجتاز الحجرة لينضم إلى لونا ويتناول يدها فلا يفلتها على الرغم من الجهود التى بذلتها من أجل تحريرها من قبضته .

- .. وفى هذه الأثناء كان عدد القتلى يزداد فى الطوفان الذى اجتاح كاليفورنيا .

قالها المذيع بصوته القوى الدافئ ثم راح يصف بعض الغرقى كما لو أنه يعد مميزات بعض مساحيق التجميل .

وما إن انتهت فترة الأخبار حتى انصرف جاك ولونا .

توجها إلى عربتهما دون أن يفوها بكلمة . وكان جاك يردد فى نفسه : (لننتظر حتى ترى المة . لننتظر قليلا) .

وما إن دخلا دون كلمة دائما حتى اندفعت لونا تلتقط بعض الثياب الملقاة هنا وهناك لا رغبة منها فى ترتيب المكان ولكن لكى تشغل نفسها بشىء ما وبدت حركاتها شاردة .

تناول الصرة الملفوفة بطريقة فنية ليقدمها إليها ولكنه لم يعرف

كيف يفعل . فقد عذبته فكرة قائلة إنها ترفض فتحها .

وأخيرا قال :

ـ خذى هذا الشيء لك .

وبدأ يفك الشريط ويزيل الورق ومن العلبة خرج قميص نوم ..

ونشره وقال :

ـ انظرى هذا .

ولكنه لم يحس بالنبرة الفرحة التى شاء أن يطبع بها كلامه .

تركت لونا ما كان بيدها وتقدمت صوب جاك أو على الأصح صوب قميص النوم المصنوع من الدانتيلا السوداء كما لو أنه قد سحرها .

ـ أوه .. كم هو بديع .

وأشرق وجه لونا وتغير حتى غدا كوجوه الأطفال مع أنها كانت تناهز الثلاثين .. وراحت عيناها تتفحصان بنهم قميص النوم .

وضمته إلى صدرها ثم مررته على وجهها لتتحقق من نعومته .

وقالت :

ـ جميل .. جميل جدا ..

وقال جاك :

ـ يسعدنى يا حبيبتى أنه أعجبك .

ولكن لونا من شدة تأثرها بالهدية بحيث لم تع كلماته .

وأراد معانقتها ولكنه خاف أن تظن أنه يريد شراء عطفها بهذه الهدية .

وقال بتلطف ولكن بصوت أقوى هذه المرة :

ـ ماذا لو شربنا شيئا ما ؟

إنهما يريدان الاحتفال بزوال سوء التفاهم بينهما . وهو يريد الاحتفال أيضا بنجاح خطته بعد الخوف الذى اعتراه من إمكان فشلها .

وعاد يقول :

ـ ما رأيك فى كأس ؟

وعندئذ ـ وفجأة كما يسقط الستار ـ تبددت البسمة عن وجه

لونا .

وقذفته بسؤال :

- هل تفى زجاجة بالغرض ؟

وأجاب بلهجة مترددة :

- أوه .. أعنى .. أفترض .. إن نعم .

ولم يحالفه الفهم تماما . فعاد يقول :

- ماذا تقصدين يا حلوتى ؟

كانت واقفة أمامه جامدة باردة الوجه مقطبة الحاجبين وقالت بلهجة ساخرة :

- هذا القميص الجميل ..

وسكتت لحظة ثم تابعت بغضب :

- كل هذه الدانتيلا .. إنها جديرة بإغراء المرأة فى أعماقى خذه . امض واسترجع دولارتك الخمسة والعشرين .. هذا يجب أن يكفى لشراء كمية من الكحول تسكرك تماما . لو كنت مكانك لما سمحت لنفسى بأن تصحو أبدا .

ـ ما الذى حدث ؟ ما الذى سبب هذا الانقلاب المفاجئ ؟ لماذا فعلت ؟

وكان يسمع أقواله ترن كأنها عشرات الأجراس التى لا ضابط لها . خمسة وعشرون دولارا . خمسة وعشرون دولارا .. خمسة وعشرون دولارا .. وحدق فيها مأخوذا .

وسأل بصوت أجش :

ـ كيف عرفت ؟

وصب بعض الويسكى فى كأس جرعها دفعة واحدة . وعلا صوتها :

ـ كيف عرفت ؟ اعلم إن كل من فى المخيم سوف يعلمون قبل حلول فجر الغد ، إن صهر السيدة سينر حارس السجن تلفن وأخبرها ، لقد نصبت صهرها ؟ رآك هناك ! أوه !

كانت تنظر إليه بقرف ورعب .. لقد نسى ، لم يفكر لحظة واحدة فى ذلك .

وسألته لونا بوجه متقلص :

ـ كيف استطعت الإقدام على هذه الفعلة ؟

ودوى صوته الغاضب بغتة :

ـ من أجلك فعلت ذلك ! هكذا رأيت أن أفعل ! من أجلنا لكى أشترى هدية جميلة لك ، لكى أسعدك بها ...

ومشى إليها وقد طبع الألم وعدم الفهم وجهه ، ولمست يداه قميص النوم الذى كانت قد رمت به ، فرفعه وقدمه إليها فى محاولة أخيرة .

ابتعدت لونا وهزت رأسها وقالت بصوت لطيف أشبه بالهمس :

ـ أوه ! كلا ! ليس لى ، لا أريد أن ألمسه مهما يكن من أمر من تظننى بربك .

رأسه تدور ، الويسكى مع عدم تناوله الطعام والرعب الماثل في مكان الإعدام ، والآن هذا .. ولكن لا مناص له من الرد على سؤال لونا .

ـ حسنا ، إنه مجرم في أية حال ، قتل رجلا . لأجل أن يشترى هدية .

وأرضاه هذا المنطق فمال برأسه وراح ينظر إليها وخيم الصمت لحظة ، ثم إن لونا ابتعدت وراحت تلتقط ثيابها وتطويها على

عجل ، وجاءت بحقيبة ، كان فمها متقلصا .

ونظر إليها جاك بقلق لعشر دقائق خلت كان يظن أن زواجهما أنقذه ، أما الآن .. وجفف العرق عن جبينه وسأل :

ـ لونا إلى أين ذاهبة ؟ أرجوك ..

ترنحت فى وقفتها وقالت :

ـ إننى أجمع أشيائى لأمضى من هنا .. أما هذا .. هذا .. فخلصنى منه .

ودفعت بكلتا يديها قميص النوم الذى كان ما يزال ممدودا بيديه نحوها .. ترك جاك القميص الشفاف بحركة يائسة وصاح :

ـ كلا يا لونا .. يجب أن تبقى .. يجب أن ترتديه يا لونا . من أجلك فقط فعلت ذلك ، من أجلك دون سواك قتلت رجلا استحق عليه حكم الإعدام .

ودخلت جماعة من الرجال إلا أن عيون الرجال المنتظرين لم تتركز إلا على الشخص الذى يرتدى قميصا مفتوحا ، الشخص الذى يغمز بعينيه ويرطب شفتيه بطرف لسانه دون أن يفوه بكلمة . وبغتة فاحت رائحة عرقه القوية الطرية . إنها رائحة الخوف .

وكان وجهه على بياض كبياض الورق .

وأوثق الحراس ذراعيه بسرعة وقوة ، واحد منهم علق دريئة فوق قلبه وتمتم المعرف ببضع كلمات من كتابه الصغير .

وكان ثمة ممثلون رسميون عن حكومة الولاية ، الرجال الذين ينتظرون في الطرف الآخر من القاعة ، النور القوى يسمح لهم أن يروا لا يراهم ، هم المتطوعون .

جاءوا إلى السجن بسياراتهم وبعد قليل سوف يرجعون بعد أن ينال كل منهم ٢٥ دولارا (رقعتان جديدتان من ذات العشرة وواحدة من ذات الخمسة) وكثيرون منهم سوف يتخذون الطريق التى شقت من جديد ، الطريق التى أسهم جاك كلوزون فى شقها .

وغمز جاك كلوزون بعينيه من تأثير النور القوى ، كان وثاقه مشدودا جدا ، وبدأ يهز رأسه يمنة ويسرة كما لو كان يبحث عن مخرج مع علمه أن لا مخرج أبدا ، ورف بجفنيه ورطب شفتيه وانتظر كى ينفذ فيه حكم الإعدام .

إفرام دافيدسون

حيلة امرأة

حيلة امرأة

حينما شاهدت ريتا للمرة الأولى لم أحس بناحيتها بميل كبير بيد أنكم لا ريب تعرفون كيف يكون الإحساس الأول .

دخلت ريتا محلنا هي وزوجها وحموها . كانت امرأة قوية الجسم طويلة القامة وجميلة . حتى وهي تلبس بنطلونا أسمر وقميصا رجاليا وصدرية من الصوف كانت تبدو أنثى وفاتنة . والمرأة عندما تلبس حذاء جيدا يبرز جمال كاحليها ورشاقتها فإنها تبدو جميلة حقا . ولم ألق عليها غير نظرة فضولية طبعا ولكن أخي الأصغر آل بقامته التي تبلغ ستة أقدام لم يستطع أن يحول عينيه عنها . كانت تبلغ الثامنة والعشرين من عمرها ، وكانت أقوى من زوجها .. كانت توحي من أول وهلة بأنها رجل من رجال الجبال يلبس ثياب الصيد . ولكن كلما أمعنت النظر كلما لاحظت قسمات جسدها المكتنزة وثنايا شفتيها الغليظتين وعينيها الباردتين الجريئتين . وخلاصة القول ما إن تمعن النظر إليها حتى

تدرك أنها ذات شخصية قوية .

وكنا قد شاهدنا الرجلين قبل ذلك قد أقبلا إلى محلنا في الخريف الماضي ، وأظن أن من الأوفق أن أتكلم كلمة عامة عن المحل الذى نستقله فإننا نقيم على الحدود الكندية ولا يفصل بيننا وبين كندا إلا غابة كبيرة كثيفة وأراض لا قيمة لها . ليس هناك أنهار ولا مراكز حراسة أو حتى جمرك . والحق أنه ليس هناك أى داع للحراسة أو الجمرك ، فالغابة عبارة عن صخور وأراض لا يمكن أن يخطر لإنسان عبورها ، وقد ذكر لنا آنى أنه أثناء تحريم الخمور خطر لبعض المهربين أن هذه الغابة هى المكان المثالى لتهريب الخمور على ظهورهم ، وقد حاول ثلاثة منهم ذلك .. ولم يعد منهم غير واحد اقتنع بعد نجاته بسخافة الفكرة التى طرأت لهم ، فإن هذه الغابة من المستحيل اجتيازها أثناء الشتاء تماما ، أما باقى الغابة فهى مليئة بالصخور الغريبة والمستنقعات والأشجار المتشابكة والثعابين الضخمة والدببة والقطط الجبلية . ليس فيها أية طرق حقا ، وإذا حدث وضل أحدهم فإنه هالك لا محالة ، وقد سمعت أن رجلين من الهنود الأصليين يقيمان فى مكان ما منها وأنهما يبيعان جلود صيدهما فى كندا ولكننى لم أرهما قط .

ولم أضع قدمي في الغابة منذ أن كنت صبيا ولا يختلف إليها أي إنسان عاقل ولم أفكر في اجتيازها على الرغم من أن عائلتي تعمل في هذه الناحية منذ أكثر من مائة عام . ويتردد على محلنا بعض الذاهبين وندبر أمورنا بطريقة لا بأس بها . ولم أكن أدرى أن الأراضي التي لا قيمة لها سيكون لها أية أهمية ذات يوم ولكن ما أن انتهت الحرب حتى أقبل رجل غني وأبدى رغبته في الصيد داخل الغابة . وحاولنا أن نثنيه عن غرضه ولكنه قال إنه سبق أن اقتنص الأسود في أفريقيا وفي أماكن أخرى ، وانتهى بنا الأمر إلى أن بعناه بعض الأسلحة وطلبنا على وجه السرعة بعض أحذية الصيد ، وقد تكلف هذا كله ثمنا باهظا طبعا . حسنا .. توغل الرجل في الغابة وخرج منها بعد أسبوع ومعه جلد دب وأبدى سروره بأنه اصطاد في هذه الناحية . وكان رجلا ثرثارا كثير الكلام ولا شك أنه أكثر من الكلام عن الأماكن التي ذهب إليها فقد أقبل بعض الصيادين واضطررنا أن نبيعهم ما يريدون . ولم يلبث أن عاد الصيادون بعد ذلك وأنفقوا أموالا طائلة في سبيل الحصول على جلد الدب أو القط الجبلي ، بل إن بعضهم كانوا يأتون في طائرة ويهبطون في جنوب الغابة عند بحيرات خفية غنية بالأسماك .

ولعل هذا كان سببا في ثرائنا فقد ظللنا نبيعهم الأسلحة والذخيرة وملابس الصيد الغالية ، وكانوا يقضون ليلتهم عندنا وعند عودتهم نعتني بسياراتهم . وكما سبق لي القول لا بد أن يكون على جانب من الثراء ، وكنا نربح من هذه العملية في تلك الفترة أكثر مما نربحه بقية السنة .

وكان جيم هاريس حمو ريتا رجلا قصيرا ربعة القوام يناهز الستين عاما ، ولا ريب أنه تزوج في سن كبيرة لأن ابنه الوحيد جيم كان في الثانية والعشرين من عمره ، وقد أقبلا لأول مرة في الخريف الماضي ولكنهما أقبلا الآن للمرة الثانية ، وكانت ريتا زوجة جيم الشاب تصحبهما . وقد قدمت لهم وجبة شهية وآووا إلى فراشهم في وقت مبكر . وفي صباح اليوم التالي وكان يوم إثنين استقلوا سيارتنا الصغيرة وانطلقوا في جوف الغابة ، والواقع أن هناك بداية طريق يمتد نحو خمسة عشر ميلا في أرض وعرة داخل الغابة ، ولكن بعد هذا الطريق لا بد لك من السير على الأقدام ، وقد أراد آل في البداية أن نمهد طريقا في جوف الغابة ولكن آل بعيدا عن الذكاء فقد أوضحت له أننا إذا مهدنا الطريق وقمنا بأية تحسينات أخرى فلن يأتي أصحابنا الأثرياء بعد ذلك لأن الذي يجذبهم إلى هذه الأماكن هو وعورتها وصعوبة طرقها .

وقد كان من المتفق عليه أن تبقى أسرة هاريس أسبوعا ، ولم نفكر فيهم بعد ذلك لحظة واحدة فيما عدا (آل) الذى كان يحلم بريتا حتى بعد ظهر يوم الأربعاء عندما عادت السيارة الجيب مصدرة صوتا صاخبا ، وكانت ريتا هي التى تسوق فى حين كان زوجها طريحا في المقعد الخلفى . كانت تبدو كما لو أنها أصيبت بالجنون بشعرها الأسود الطويل المنكوش والمتهدل فوق كتفيها . وكان وجهها شاحبا تعلوه الجروح ، وثيابها ممزقة وقميصها مصبوغا بالدم . وكان جيم غائبا عن وعيه . كانت رأسه ووجهه فى حالة يرثى لها وكذلك كتفه وذراعه الأيمن . كان شاحبا شحوب الموتى . وخرجت (ريتا) من السيارة وحملت زوجها بين ذراعيها كما لو كان طفلا وذهبت به إلى فراشه في حين أسرعت أنا لكى أحضر دكتورا .

وعلى الرغم من أن ريتا كانت على وشك الإغماء فإنها ظلت بجوار فراش زوجها بينما كنا ننتظر مجىء الدكتور آش . وقد تناولت طعامها بجوار فراش زوجها ولم تشأ تغادره لحظة ، ومع ذلك فقد بقيت أنا وزوجتى وآل معها طوال الوقت . وإذا لم يكن هناك ما يفعله آل فإنه كان يقضى وقته فى النظر إلى ريتا كما لو كان طفلا ينظر إلى شيء يعبده ويقدسه .

وبعد لحظات استطاعت ريتا أن تتمالك نفسها شيئا ما وأن تتكلم قالت لنا إنهم نصبوا خيمتهم في ممر صخرى يعرف باسم شيل جوت ، وأن هاريس الأب سمع أثناء الليل أصوات حيوانات فخرج ليستطلع الأمر . وجلست ريتا في الخارج بجوار الباب تنتظر عودته ، وعندما عاد تعثرت قدماه فانطلقت بندقيته وأصابته الطلقة في بطنه . ويجب أن يكون الإنسان مجنونا لكي يطلق رصاصة وحوله كل هذه الصخور ، ولكنه تعثر وانطلقت الرصاصة صدفة وفجأة .

وكان جيم الابن راقدا فى فراشه وتسببت الطلقة فى انهيار بعض الصخور فوقعت فوق الخيمة وحطمتها وتل جوت يبعد بنحو عشرين ميلا عن نهاية الطريق ، حيث كانت السيارة الجيب ووجدت ريتا نفسها بين رجلين جريحين جراحا خطيرة ، وكان عليها أن تتخذ قرارا سريعا وخطيرا لأنه لم يكن بمقدورها إلا إنقاذ واحد منهما فقط . ولهذا حملت جيم الابن فوق كتفيها وسارت به عشرين ميلا تمشى تارة وتزحف أخرى . وسارت تصعد وتهبط طوال الليل حتى بلغت السيارة الجيب مع طلوع النهار ومن محاسن الصدف أن الحظ حالفها فلم تضل طريقها .

وكان القرار الذى اتخذته قرارا قاسيا بالطبع ، فقد كانت تعرف أن الذى ستتركه سوف يموت حتما ، إن لم يكن بسبب الحيوانات المفترسة فبسبب جراحه . وما كان فى استطاعة جيم الأب النجاة وقد أصيب بجرح نافذ فى بطنه ثم إن جيم الابن كان زوجها ، وكانت تجربة فظيعة لها وهى تمشى طوال الليل فى جوف الغابة وعلى كتفها رجل يحتضر ، وإن دل هذا على شىء فإنما يدل على أنها امرأة فائقة الرقة والطيبة وقوية الشكيمة فى الوقت نفسه خاصة وأنها امرأة صغيرة .

وأسرع آل وجاك فادو وهو مزارع هندى يعرف مسالك الغابة خيرا من أى شخص آخر إلى تل جوت (وسيتزوج آل ابنة جاك فادو بمجرد أن تبلغ السادسة عشرة من عمرها . والواقع أن أليس فادو فتاة جميلة ، ولكن حتى لو لم تكن كذلك فسيتزوجها آل لأنها الفتاة الوحيدة فى المنطقة) وساعدت أنا وزوجتى ريتا بقدر الإمكان وحاولنا أن نقنعها بأن تأخذ قسطا من الراحة ، وكنت أفكر طوال الوقت فى أنى أخطأت فى حكمى عليها ، أعنى عندما رأيتها أول مرة وظننت أنها دمية قاسية الملامح .

وحتى بعد أن أقبل الدكتور آش فى ساعة العشاء رفضت ريتا

أن تغادر زوجها وبقيت جالسة في مكانها في نوع من الضباب منهوكة القوى زائغة البصر لأنها لم تذق النوم وظلت تحدق في زوجها لا تفارقه بعينيها . واسترد وعيه وقال لها إنه يحبها كل الحب قبل أن يعطيه الدكتور حقنة منومة . وتوسل الدكتور إلى ريتا أن تصيب قليلا من النوم وأن تستريح . ورفضت أن تتناول أى عقار ولكن عندما جئناها بمرتبة في الغرفة تمددت فوقها ونامت بضع ساعات وهي لا تزال محتفظة بملابسها الممزقة المصبوغة بالدم . وعلى الرغم من أن الدكتور آش معروف بالوقاحة والغلظة فقد تأثر ، وكانت هذه أول مرة أرى فيها زوجتي تبكي ، وأخذت الإنجيل وراحت تقرأ وتصلي من أجل (ريتا) ومن أجل زوجها .

وبذل الدكتور آش كل ما في استطاعته ولكن كان واضحا أن جيم الابن لا محالة هالك . واتصلنا ببرستون تليفونيا لإرسال عربة إسعاف على الرغم من أن الدكتور كان يؤمن بأن جيم لن يستطيع احتمال الرحلة . وعندما سمعت ريتا حديثنا وكنا نظن أنها نائمة انهارت وراحت تصرخ بطريقة هستيرية وتتوسل إلى الدكتور لكي ينقذ زوجها ، ولكن جيم الابن كان في حالة ميئوس منها ، وكان قد فقد الكثير من دمه ومات في صباح اليوم التالي ، ولم تبك ريتا كثيرا عندئذ ولكن بدا عليها أنها متأثرة بالصدمة وبقيت جامدة

بجوار فراش زوجها وهي ترد بالكاد على أسئلة الدكتور لتحرير شهادة الوفاة .

وفي منتصف النهار عاد آل وجاك فادو وقالا إنهما وجدا المكان الذى انطلقت فيه الرصاصة وأصابت جيم الأب وأنهما رأيا كومة من الأحجار والصخور وحطام الخيمة . ولكنهما لم يجدا أثرا للجثة . وليس هناك من يعرف مجاهل الغابة مثلهما وقد فتشا الوادى من أوله إلى آخره . ومن رأيهما أن دبا ربما عثر على الجثة فنقلها إلى جحره . وعندما عرفت ريتا النبأ فيما يتعلق بجيم الأب انهارت تماما لأنها تركته هناك وأعتقد أنها أحست بالذنب . وقد أعطاها الدكتور عندئذ حقنة مهدئة وأرقدتها زوجتى فى فراشها . ولم يكن هناك أى سبب لكى تشعر بالذنب فإنه لم يكن فى مقدورها أن تحمل رجلين فى وقت واحد .

ونهضت ريتا فى النهاية . كانت قد استجمعت بعض الشىء واستبدلت ثوبها بثوب آخر أبرز مفاتنها . ودهشت زوجتى وهى ترى ثوب ريتا الفاخر فى حين راح آل ينظر إليها كما لو كان يريد أن يأكلها . وهم بأن يطلب منها أن تتزوجه لولا أن زوجتى أقنعته بأن ينتظر لأن الوقت غير مناسب . وكان يتعين علينا أن

نعرف ماذا نفعل بجثة جيم الابن ، وقد اقترح الدكتور آش أن تدفنه في مدافن القرية ، وكنا قد ألغينا طلب عربة الإسعاف لأن الرحلة ستكون طويلة حتى بلدة برستون . ورأت ريتا أن هذه الفكرة طيبة لأن جيم كان يجب أن يدفن بجوار جثة أبيه وكان جاك فادو يقوم بالوعظ وأسرع آل فصنع صندوقا عاديا وهكذا وارينا جيم هاريس الثرى فى مقبرة القرية .

وكان الطبيب يتلهف على العودة إلى مدينة بريستون فى نفس الليلة . وقررت ريتا أن ترحل معه فجأة وقالت لنا إنها ستبعث من يأخذ سيارة جيم الأب فيما بعد . ولكنها أصرت على صنع رخامتين لوضعهما فوق القبر تشهد بأن جيم الابن مات يوم ١٩ وأن جيم الأب مات يوم ١٦ وقضيت ما يقرب من ساعتين فى إصدار التعليمات اللازمة لصانع الرخام فى ليتل باف . وقبل أن ترحل ريتا أعطت عنوانها فى المدينة لآل ووعدت بأن تعطى خمسمائة دولار مكافأة لمن يأتى بجثة الأب لكى يدفن بجوار ابنه .

وبالرغم من أننى كنت أعرف أن ريتا أصبحت تمقت محلنا فقد اغرورقت عيناى عند رحيلها وانتحبت زوجتى فى صوت مرتفع فى حين تملك آل الانفعال والاضطراب . وعانقت زوجتى ريتا

وأعطتها هذه الأخيرة ثوبا أنيقا . وقال آل إنه مستعد أن يعيد إليها السيارة في أي وقت تطلب منه ذلك دون أي مقابل . واكتفيت أنا بأن شددت علي يدها ورحت أتساءل عن مدى تأثير هذه الفاجعة علينا . وكان الدكتور قد دار بعربته لكي ينطلق بها في طريقه إلى برستون عندما أقبلت عربة بوليس مسرعة هبط منها رجلان ألقيا القبض على ريتا بتهمة القتل .

ولم أستطع . لا أنا ولا الطبيب أن نصدق ذلك . أعني بعد كل ما عانته ريتا كان هذا النبأ يبدو بعيدا عن التصديق . أما آل فقد اضطررت أنا وزوجتي إلى العناية به لأن ذلك الغبي أوشك أن يعتدي على رجلي البوليس . لكننا لم نلبث أن عرفنا كل شيء فيما بعد أثناء المحاكمة .

فيبدو أن جيم الأب كان بخيلا جدا على الرغم من ثرائه ، ولم يكن يتخلى عن ثروته إلا بشق النفس ولم يكن الابن يملك شيئا . وكانت ريتا قد عانت من الفقر الكثير قبل أن تتزوج جيم الابن . وأدركت أن هذا الأخير لن يلبث أن يرث أباه بمجرد موته . ورأت في الصيد فرصتها فبينما كانوا يعسكرون في الوادي قال لها جيم الأب إنه خارج ليتمشى قليلا ، وكان جيم الابن غارقا في النوم

وتبعت ريتا الرجل وأطلقت عليه رصاصة أصابته في بطنه وفي نيتها أن تقول إن الأمر وقع قضاء وقدرا ولكنها لم تكن من أبناء المنطقة ولم تتوقع تأثير الطلقة النارية لأنها عندما عادت لكي توقظ جيم الابن وتقول له إن أباه وقع له حادث وجدته يرزح تحت كومة من الأنقاض .

وراحت ريتا تفكر بسرعة . كانت قد درست قوانين الولاية قبل ذلك وكانت تعرف أن زوجها إذا مات قبل أبيه فإن ريتا لن تحصل على فلس واحد من أموال الأب ، وأنها لو استطاعت أن تحتفظ بجيم الابن حيا وأن تثبت ذلك فإنه يرث كل شيء عندئذ وأن الإرث سوف يؤول إليها إن آجلا أو عاجلا ولهذا السبب بذلت الجهد الكبير وحملت جيم الابن خارج الغابة وجاءت إلينا لكي تستشهد بنا عند موته . أما الأب فقد ظنت أنه سيموت بعد بضع ساعات .

وما كان الأب ليعيش طويلا لو لم يره أحد الرجلين الهنديين اللذين يقيمان في المنطقة ، فقد كان موجودا على بعد نحو ألف وخمسمائة متر وقد أسرع إلى مصدر الطلقة النارية لاستطلاع الأمر عندما سمعها ، وعثر على المصاب وحمله إلى الوادى حيث كان

أحد الرجال يصطاد في البحيرة على ظهر طائرته المائية . وحمل الرجل العجوز إلى طائرته وأسرع به إلى مستشفى كندى ولم يكتف الأب بأن يذكر ما حدث له وإنما وقف على قدميه في الوقت المناسب لكي يدلي بشهادته ضد (ريتا) عند محاكمتها بعد ذلك بأسبوعين .

ولا يزال آل يقول إن من السوء إرسال امرأة جميلة مثلها إلى الكرسي الكهربائي . وحتى زوجتي حكمت بأن ريتا زوجة طيبة لا لشيء إلا لأنها حملت زوجها خارج الغابة وحاولت إبقاءه على قيد الحياة مهما كانت دوافعها .

دعنى أهرب

دعنى أهرب

كانت الساعة الواحدة والربع بعد الظهر عندما استيقظت فى تلك الفندق من الدرجة الثالثة وعرفت أن الساعة كانت تشير إلى تلك الوقت الذى تأتى فيه الخادمة لترتب الغرفة التى شعرت أننى عرفها تماما وليست بالغريبة عنى رغم مكوثى فيها ليلة واحدة فقط .

ما إن فتحت عينى حتى رأيتها هى هى تماما كجميع الغرف فى تلك الفنادق التى تنتمى إلى الدرجة نفسها فى مدينة نيويورك ، بلد الأحلام ، ولأكون واضحا وأكثر صراحة أقول إن نفسى عافت تلك الحياة ، حياة التشدد التى أعيشها ، يجب أن أغير الجو وانطلق من هذا المحيط القذر رغم أن العين بصيرة واليد قصيرة كما يقول المثل .

ولا أقصد بتغيير الجو أن أستقل القطار فى رحلة خارج المدينة و أن أدخل إلى ملهى جديد أو إلى حديقة غريبة بل ما أقصده هو صعود من كعب السلة التى أنا فيها لأرى ما يوجد فوق حافتها

وخارج حافتها ، أن أصعد وأقفز درجات السلم لأمتع نفسى بالذى فوق ، ولا فرق عندى إن كسرت رجلى أو حطمت عنقى بعد ذلك فالحياة وقفة عز فقط ، هل فهمت على أن ميامى كانت من المستحيلات بالنسبة لى وكذلك بلد ويها وكن ، فجيبى خاوى الوفاض فارغ إلا من دولار وعشرة سنتيمات هذا كل ما أملكه من حطام هذه الدنيا الواسعة الملأى بالملايين والمليارات ولم يبق أمامى إذن سوى محاولة النزول فى أحد تلك الفنادق الفخمة وشق طريقى هناك ، وقد يطردنى صاحب الفندق أو مديره وقد ألاقى بعض الصعوبات فى الدخول إلى مرتع الأغنياء والمحظوظين ولكن إذا كنت لبقا حذقا وعرفت كيف أرتب ملابسى الوحيدة عندى والباقين لدى ، على أنه طفرة من طفرات الحظ سأتمكن بها من التوصل إلى تأخير ذلك المصير حتى يفرجها الله ويأتى شىء من الغيب لا أكون أحسب له حسابا .

وقررت أن هذه الفكرة هى أجمل وأعظم وأحسن فكرة تفتق عنها دماغى منذ أن قررت الكف عن أكل العدس إلا فى الأرض المحرمة ، كان أول شىء قمت به هو التحقق من ملابسى فرفعت قدح الماء الذى كنت أضعه على درفة الخزانة الصغيرة بطريقة متوازنة قبل أن أنام تحسبا لكل طارق ، فقد يأتى لص أو نشال أو

فقير إليه معالى مثلى ليفتح تلك الخزانة أثناء نومي ، ولكن ما إن يمد يده حتى يقع القدح وأستيقظ عندئذ على صوته وأخلص أمتعتي . أخذت بدلتي وقميصي وربطة العنق المعلق بعناية وإتقان . كذالك جواربى التى كانت قد نشرتها على النافذة بعد أن غسلتها قبل نومي ، هاهى الآن جافة وحذائي الذى تحت السرير مسحته مسحة خفيفة من طرف الشرشف ليعود إلى لمعانه السابق ورونقه الدائم ، وكذلك تناولت آلة الحلاقة التى كانت تحت الوسادة ونزعت الشفرة منها ثم شحذتها على حافة زجاج القدح ، إن منظر وجهى بعد الحلاقة يعجبنى ، كثيرا ما أفخر به ، وبعد أن أخذت حماما سريعا وارتديت كل ما أملكه فى هذا العالم أصبحت مستعدا كل الاستعداد من ناحية المظهر الخارجي لأدخل إلى أضخم فندق في المدينة كنت أعرف أن لينل سام يملك حقيبة سفر صغيرة ما زالت بحالة جيدة كان قد استحصل عليها بطريقة مريبة . فهو ينتمى إلى طبقتي ويتمتع بنفس البحبوحة التى أتمتع بها غير أنه يعمل عند أحد المرابين الذين لا يقرضون فلسا واحدا إلا بعد أن يأخذوا رهنا مقابله يساوى ٢٠ ضعفا قيمة الدين .

كان فى بادئ الأمر يتمتع ببعض المزايا وينعم بملامسة الدولارات في جيبه عندما كان يلف ويدور فى معاملاته وتصرفاته

غير أنه قرر ترك تلك الحياة واتباع طريق الهدى والأمانة . أصبح خالى الوفاض مثلي يركض وراء الدولار والدولار يركض أمامه . كان منذ مدة أعطانى مفتاح غرفته لأنه يعرف أنى لا أستعير شيئا أو أمد يدى على شيء إلا في الحالات القصوى . ذهبت إلى الغرفة وأخذت الحقيبة دون أن آخذ شيئا غيرها . على كل حال كان سام قليل الذوق . وليس أنيقا في ملبسه كما أنه أقصر منى قامة فلم أكن أستطيع لبس رباط العنق فقط وهذا ما لست بحاجة إليه الآن ثم طفت على مجموعة من الرفاق يجب أن أحصل على شيء أضعه في الحقيبة حتى تبدو ثقيلة نوعا ما وقد فكرت أولا أن أضع فيها بعض الأشياء ذات الوزن كدليل التليفون مثلا أو بعض كتب أخرى كانت عندى لأعطيها بعض الثقل .

ولكنى بعد طوافي ذاك استحصلت على قميص من هنا وسروال من هناك وبعض الملابس الأخرى أعارنى إياها الرفاق بكل طيبة خاطر . طبعا لم يكن بوسعي الذهاب بالتاكسى الذى سيكلفنى دولارا أو نصف الدولار . هذا مبلغ لا تتحمله ميزانيتي والمترو لا أطيقه أبدا إذن لم يبق أمامي سوى رجلى .. وقطعت شارع كولومبوس بخطى واسعة فالوقت لم يكن مناسبا لألتقى فيه بالرفاق أو بعضهم واتجهت نحو صديق سنترال بارك وست كما أن الوقت

كان جميلا قررت متابعة السير على قدمى ، ثم من يعرف فقد ألتقى فى ذلك المكان بحسناء من الحسناوات فتهتم بى لقبول دعوتها إلى بيتها ولكن هذا الأمر لم يحدث غير أن معنوياتى بقيت كما هى من العلو والسمو إذ إننى كنت أهدف إلى الأعالى .

عبرت إذن شارع كولومبوس واتجهت نحو المكان الذى سأسميه السير كلى تاورز هوتيل . طبعا إن الاسم مستعار فأنا لا أحب الكذب وتقدمت بخطى لبقة ثابتة من بوابة الفندق التى يحرسها بواب كأنه جنرال بلغارى وبنظرة منه أفهمته أن السير على الأقدام رياضة لا بد منها وأنه أفضل بكثير من سيارة جكوار مع سائق وأشرت إليه برأسى إشارة ديموقراطية وصعدت السلم الذى تغطيه سجادة ناعمة تؤدى إلى موظف الاستقبال . وبما أنه رفع رأسه لينظر ابتدرته مع ابتسامة مشرقة بهذه الافتتاحية هالو . معى وقت طويل أليس كذلك ؟ وطبعا قال فى نفسه إنه لم ير صورة وجهى من قبل غير أنه يجوز أن يكون نسينى لطول المدة وتابعت كيف الحال .

ـ أوه جيدة يا سيدى .

وقلت فى نفسى لا بأس إنها بداية حسنة ، وقلت له بعتاب :

- لا تقل لى إنك نسيتنى إنك مستر كولتز .

فرد علي متلعثما : أوه طبعا لا يا مستر كولتز .

أومأت له بجد هذه المرة .

- إنني مسرور برؤيتك طبعا لقد حجزتم لى الغرفة .

وشعرت كأنه سينفجر باكيا أخشى ألا يكون ذلك قد تم :

- ليس لدينا أية غرفة فارغة .

وارتعبت فى داخلى وقلت :

- كيف هذا لقد اتصلت بكم سكرتيرتى منذ أربعة أيام .

- كان قد امتلأ . ومن الجائز أنها نسيت أن تقول لك يا سيدى .

وهززت رأسى بأسى لأرفع كتفى متعاليا عن هذه التفاصيل ، ثم قلت :

- يالها من فتاة . على كل حال ليس الأمر مهما لهذه الدرجة ، هل أنت متأكد أنه لم تبق أية غرفة ولو كانت صغيرة ، وسأكتفى بشقة صغيرة بانتظار الحصول على ما هو أفضل .

- ولا غرفة صغيرة مستر كولتز .

- هل تظن أنى أجد مكانا مى والدورف أستوريا إنه ليس من فنادقنا يا سيدى ولكن انتظر ..

ولمعت نظراته قليلا وتابع :

- أظن أنى أستطيع إرسالك إلى فندق بارميترون بلمونت .

وكتب بعض الكلمات على بطاقة صغيرة وأعطانى إياها بعد أن وضعها في مغلف .

- أعط هذه للموظف جرمان إنه صديقى وسيهتم بأمرك إننا لا نستطيع ترك زبائننا القدماء دون مساعدة

- إنك لطيف جدا .

ثم قلت له وأنا أرسل ابتسامة عريضة :

- انتظر منى قريبا مكافأة تسرك .

وامتدت ابتسامته حتى وصلت إلى أذنيه . وأشرت بحركة مرحة إلى حمال للحقائب جاء إلى وأخذت الحقيبة منه واتجهت بخطى ثابتة نحو الباب حيث وقفت قليلا وطلبت إلى البواب ليوقف لى سيارة تاكسى وقلت للسائق بعدم اكتراث " بارميتون بلمونت " كنت

مشغولا جدا لأتنبه إلى البواب وأعطيه البقشيش وعلى كل حال كان يسهل فيما إذا كنت صاحب أحد الفنادق الأكثر فخامة من هذا الفندق كانت أجرة السائق ٨٥ سنتا ، استكثرت أن أمنحه كبقشيش٢٥ سنتا أخرى فذلك كثير على جدا ، لذلك قررت أن أعطيه دولارا كاملا بكل أنفة وكبرياء كما لو أنني سأمنحه عشرة دولارات ومرت حيلتي ولم يبد أي احتجاج ، دخلت إلى الفندق وأعطيت البطاقة للموظف المختص .

ـ أوه مستر كولينز لقد اتصل بى مستر سيفرس قبل وصولك ، إن فندقنا على وشك الامتلاء .

وبعد أن قطب حاجبيه قليلا تابع :

ــ هل تناسبك غرفة بسبعة عشر دولار فقط ، وتظاهرت بالانزعاج قليلا غير أنى كرجل مهذب لطيف قبلت العرض رغم كونه غير مناسب لمقامي الرفيع وقلت :

ـ إذا لم يكن ما أريد فأرد ما يكون ..

ـ شكرا يا سيدى .

ألقيت له بتحية منى وأنا أتبع خطى حمال الحقائب نحو المصعد .

إن سجادة الردهة كانت بسمك ٢٥ سم فقط ثم توقفت أمام مكان الصحف واشتريت نيويورك تايمس وفتحت صفحة البورصة وانهمكت بمطالعتها وأنا واقف في المصعد ، إن سجادة غرفتي لم تكن إلا بسماكة عشرة سنتيمترات غير أنها كانت تفرش بسهولة خمس غرف من تلك الغرف التي قضيت حياتي السابقة فيها ، وأكمل الخادم أعماله الروتينية كفتح الحنفيات الباردة والساخنة ثم الخزائن وطلب مني بكل احترام وخشوع :

ـ هل يريد سيدي أن أفتح حقائبه لأرتب الملابس في الخزائن ؟ .

وطبعا رفضت طلبه بكل لطف فأنا أعرف قيمة محتويات الحقيبة وقلت :

ـ ستنال البقشيش .

قلت له وأنا أبتسم :

ـ لا أحمل فكة .

ـ الآن شكرا سيدي هل أستطيع مساعدتك بشيء ما ؟

ـ اجلب لي كوبا من عصير الطماطم مع الحامض وصحن

بفتيك .

قلت له بعد أن تظاهرت بالتفكير قليلا :

ـ وصحن سلطة .

ـ حاضر يا سيدى سأقول للمطبخ .

وقبل أن يخرج قلت له أيضا دون أن التفت إليه :

ـ لا تنسَ أيضا أن ترسل بعض الشراب وبانتظار تلك الوجبة .

استلقيت على السرير الفاخر وأخذت أتأمل ذلك الرياش الملكي ، إن اللوحة الزيتية لوحدها كانت تساوى ثروة والشمعدان الفضى كان كذلك ولكن كفى أفكارا سيئة فالأمانة أساس كل احترام ، وجاء الطعام على طاولة متحركة أصغر بقليل من سيارة جاكوار .

والغداء والشراب والبقشيش سجل على اسمى في الحساب ، وما إن خرج الخادم حتى ابتدأت بالتهام الطعام والشراب الفاخرين .

وجلست بكل فرح وأمان ألتهم ما كان أمامى غير أنى ما لبثت أن شعرت بالوحدة والانقباض رغم ما يحيط بى ، فشاب غنى مثلى يجب أن يكون له أنيس وجليس ولم أسمح لنفسى

بالذهاب وقرع أبواب جيراني كما كنت أفعل فيما مضى من حياتي السابقة كما أني لم أكن مستعدا بعد للنزول إلى صالون الفندق فتذكرت بعض الرفاق .

وقلت إن يكونوا معي ليصفقوا لعمليتي .. لقد علمتني تجاربي السابقة أن لا أثق بموظفات التليفون فقد يحدث أن تسمع اسم المحل أو المقهى الذى أريد الاتصال به أو لهجة الرفاق التي يكلفوني بها ويتضح أمرى وتكون الطامة الكبرى .

وقررت إذن الذهاب بنفسي إلى المدينة والبحث عن مجموعة من الأمكنة وطفت في مقاهي شارع كولومبوس . في بعض منها لم أكن أعرف أحدا . وفي البعض الآخر الذين كنت أعرفهم لم يكونوا يرتقون بالمقام . وبعد أن تناولت بعض الأقداح تركت عنواني الجديد في بعض المقاهي فيما إذا سأل أحد عني .

وعدت إلى برجي العاجي كنت أجول بنظرى في السماء عندما رن جرس التليفون في غرفة السبعة عشرة دولارا لليلة الواحدة . وأخذت السماعة وسمعت مستر كولتز وعرفت صوت ياداى موران ألد خصومي . نعم هو نفسه .

قلت له بلطف :

ـ مستر موران يتكلم ابن القاضي موران .

ـ أظن أن الحظ مراقب لقد استلمت طلبك وأنا مستعد لزيارتك لمناقشة تلك القضية .

ـ أهلا وسهلا إنني في غرفة ٦٤٠ ها قد سيرافقك الكولونيل رانسفورد جون .

كان يقصد كونغ كونغ جون أحد الزملاء العتاة غير أن باستطاعته أن يكون لطيفا خارج المعركة وبعد أن تنحنح باداي قليلا تابع :

ـ هل نصطحب زوجاتنا معنا في حال انتهائنا من تلك المناقشة .

وبما أنني أعلم أن الزوجة باداي هي في فيفاس وكونغ كونغ قد دفن زوجته الثانية منذ شهر أجبته ولماذا لا تتركونها في كولوني ونمر عليهما فيما بعد اتفقنا أن كولوني تلك لم تكن تشبه بشيء كولوني الشارع ٦٠ بل هو لقب فقط لأحد أحط المقاهي قرب سكارتش بارك . عندما عرفت أن الزميلين هما في طريقهما إلى

أن زال انقباضى وشعرت بالارتياح وقمت وحلقت ذقنى وأخذت حماما خفيفا وطلبت على مشرفهما بعض السندويتشات وزجاجة شراب . فتحت الباب فجاءنى باداى بأدب بالغ كأنه فى بلاط أحد الأمراء .

كما أن كونغ كونغ انحنى وهو يمد يده مصافحا وما إن أغلقت الباب حتى أسرعا بالسؤال كان بادى يغزل بعينه وهو يقول بصوت أجش :

ـ هل نتكلم ؟

ـ طبعا ما من أحد يسمعنا .

ـ ما هذه الحكاية قل ما القضية .

كونغ كونغ ينظر إلى متسع الحدقين .

وقلت له : اهدأ أيها الولد .

وسأل باداى :

ـ هل ربحت الجائزة الكبرى ؟

لم أضع رجلى فى ميدان السباحة منذ شهرين إنما لكما الشرف بمشاهدة رئيس كبير أثناء العمل .

وقال باداى :

ـ لقد شاهدتك قبل الآن .

وكانت الكلمات والكلام من نصيب المتفرج الدنىء :

ـ ماذا تقصد من هذا ؟

وأخبرتهم بالقضية وأخذ كونغ كونغ يرسل الكلمات فى الهواء هكذا كان شأنه عندما يقترح ولكن باداى أومأ قليلا قال :

ـ وكيف سيتوصل سيدى الدوق إلى دفع حسابه ؟

فقلت له : عندما نصل إليها نصلى عليها أو عندما تصل إليها أنت وحدك تصلى عليها لأنى أنا لن أكون حاضرا .

وكف كونغ كونغ عن ضرب الهواء بقبضة يده ، ونظر إلى بدهشة .

وقلت لباداى بعتاب :

ـ هل تركتك تقع قبل الآن ؟

فأجابنى بضمضمة مبهمة . ولكنى طمأنته قائلا :

ـ كن واقعيا إنك لست سوى ضيفى .

وقال باداى :

ـ باستطاعتهم أن يتهمونى بمرافقة الأشرار .

ولاحظته هنا ينظر بطرف عينه إلى الزجاجة والسندويتش .

وعرفت أنه وافق وعادت الابتسامة إلى شفتى كونغ كونغ وأخذ يلكم الريح وسأل باداى

ـ قبل أن تهتم بالأشياء الأخرى ما هو المخطط ؟

ليس عندى أى مخطط ولا أية فكرة سيئة فى الموضوع إنما نحن هنا فى رحلة استجمام وقد أدعوكما إلى المسرح والزيارة مجانية طبعا .

وسأل كونغ كونغ :

ـ ومن يحب أن يذهب إلى المسرح يترك هذا النعيم مثل كثير من الناس المثقفين .

قال باداى :

ـ صح .

وتكلم كونغ كونغ :

ـ فهمت الآن هات الدراهم . هل تعرف أن تخرس لأجل هذه لقد تحطمت جمجمتك في المرة الأخيرة . سأحاول الحصول على أربعة تذاكر ولكن يجب أولا التحقيق من التمثيلية . انتظر .

وأخذت التليفون وطلبت مكتب المدير وردت على امرأة وقدمت نفسى . وبعد برهة أعطونى مساعد المدير . قلت سيسأل عنى بعض الأصدقاء من ضمنهم الناشب كونغ والبرنس ياكافارجا وذلك في الساعة الحادية عشر ، ولكنى تذكرت الآن أنى مرتبط بموعد آخر وسأضطر للذهاب إلى المسرح ولا أعود قبل الثانية عشرة ، أرجو أن تستقبلوها أثناء غيابى وتحضروا لهم مائدة وتسجلوها على حسابى .

وأسرع الرجل بالموافقة على طلبى بكل إجلال واحترام كما وأنى قبل أن أقفل الخط قلت له : احجز إلى أربع تذاكر في المسرح .

ـ سمعا وطاعة .

أجابنى المدير وأخذت الرفاق بالحادثة وقلت :

ـ لمن معه الدولارات منكما .

قال باداى : فى الوقت الحاضر لا أملك شيئا صغير .

وأجابنى الملاكم السابق :

ـ أما أنا فلست غنيا بخبرات هذه الدنانير إنى أعرف أنى لا أريد المال لدفع الحساب أيها الأبله إنما يجب أن أحتاط للأمر ، فقد لا يقبلون إمضائى لشراء تذاكر للمسرح ، وسأضطر للدفع حينذاك أما إذا قبلوا إمضائى فالمشكلة تزول إذن ، هذه عشرة دولارات .

قال باداى :

ـ وهذه عشرة أخرى كنت أحتفظ بها لأجل الرقص .

ورن جرس التليفون وابتسمت بعد أن سمعت المكالمة .

التذاكر بانتظارنا أيها الأسياد إن الساعة الآن هى السادسة تماما سنذهب إلى الصالون لتمضية بعض الوقت وقد نلتقى هناك بصيد ضخم . خرجت مرة مع إحدى النساء ؟

آه

قال كونغ كونغ وهو حالم النظرات : يجب أن تتنبها لهذه الملاحظة .

قلت لهما طالما نحن فى هذا الفندق يجب أن تتصرفا تصرفا

لاثقا ، وغمغم كونغ كونغ :

ـ يجب ألا تورق البعض من النافذة كما فعلنا فى شيكاغو فى المرة السابقة أليس كذاك ؟

قهقه كونغ كونغ .

وقلت لهما بلهجة الأمر :

ـ كما يجب أن يسيطر التهذيب وتعم اللباقة يجب أن تعاملا الفراخ كما تعاملا السيدات الشريفات حتى ولو ظهرن بعض الشراسة انتبها جيدا العراك ممنوع منعا باتا هل فهمتما ؟

فقال باداى : إذا لم يثرنا أحد حتى ولو أثاروكما ممنوع .

وبعد أن وضع باداى الدجاجة على الطاولة قال :

ـ اتفقنا أليس كذلك يا كونغ كونغ ؟

لست أحمق لهذه الدرجة من الذى كسر المرآة ومن أجابه باداى كنا لم نزل حينئذ من أبناء الشارع أما الآن فقد أصبحنا من أبناء الذوات لنرفق الماضى .

وتوجهنا نحو المصعد وألقيت نظرة على رفيقىّ ، لا بأس بهما فمظهرهما يدل على شىء من علو المركز ، كانت ياقة قميص

باداي السوداء وربطة عنقه الصفراء متناقضة قليلا غير أن منظره كان يوحي بمنظر أولئك المربيين للحيوانات الأغنياء أو كأحد أصحاب المناجم . أما كونغ كونغ فكان من الصعب تقديمه فقد تظنه مليونير في رحلة استجمام بشرط ألا يفتح فمه .

وعلى كل حال يوجد كثير من المليارديرات الذين لهم هيكل الملاكمين . سألنا خادم المصعد عن طريق الصالون فأجابنا بأنه يوجد ثلاثة فإذا كان الأسياد يريدون مناقشة الأعمال فى جو هادئ أنصحكم أن تذهبوا إلى صالة أوكسفورد وهناك لا يقبل إلا الرجال فقط وشعرت أن قبضتي كونغ كونغ تتحركا لقفل فم ذاك الوغد أما باداى فقد ظهر كأنه يبلع سمكة نيئة وكتمت ضحكة رغما عنى وقلت للخادم :

ـ كلا ، لقد تناقشنا كثيرا فى الأعمال إذ يوجد صالون بومبادور فباستطاعتكم تناول الطعام والشراب كما يحلو لكم . هل يقبل السيدات هناك ؟

قال كونغ كونغ فغمغم كولونل كونل .

قلت له وأنا أشد على أسنانى غيظا وأصوب له نظرة قتالة :

ـ أنت تحب المزاح كثيرا هناك .

أجاب الموظف وهو يلقي نظرة ذات معنى على كونغ :

ـ ولكن إذا كنتم تحبون الجو المرح فما عليكم إلا الذهاب إلى صالة الروضة .

وبعد أن شكرته ذهبت إلى مكتب الاستقبال وأخذت التذاكر واتجهنا نحو الصالة الأخيرة ورأيت كونغ كونغ يرتعش قليلا وهو يمر أمام العين الكهربائية للباب إذ إن تلك العين ما إن تشعر بشيء معدني حتى تبدأ بإرسال الإشارات ..

كانت الصالة من أفخم ما في الدنيا ورغم وجود حوالى عشرين شخصا فالهدوء التام كان مسيطرا حتى إن الإبرة يسمع رنينها .. هذا هو الجو المرح .

قال باداى : أما إذا قلت متحف الشمع فنعم .

كان ثلاثة من الرجال يقفون وراء حاجز الشراب ينتظرون أوامر الزبائن وجلسنا على ثلاثة مقاعد جلدية وتقدم نحونا واحد منهم كأنه تمثال من الشمع وانحنى حتى كاد أنفه يلاصق أنفى وقال بخشوع :

- نعم يا سيدى .

وطلبت كأسا بينما كان الحديث التالى يدور فيما بيننا وأنا أخاطب باداى أود التخلص من تلك الأسهم وفهم باداى رأسا وتساقطت هذه الكلمات أمامه هل تشترى أسهم إنها تعطى ٤ بالمائة أنا مستعد لتركها لك بآخر الأسعار كانت عبثا كونغ كونغ تبيعنا الواحد بعد الآخر كمشاهد مباراة كرة الطاولة .

وتابع باداى إذا كنت تريد شراء كل الأسهم فإنى أطلب ٤٠ ألف دولار فقط يعنى ما يوازى ٤٠ مليون فرنك فى البورصة قلت له عندما مر من أمامى رجل البار الفرنسى الذى لا يفهم بلغة الدولار وبعد أن انتهينا من شرب أقداحنا قلت لرجل البار بعدم اكتراث ودون أن ألتفت إليه :

- إننى فى الغرفة ٦٤٠ سجل الطلب على حسابها .

- حاضر يا سيدى .

أجابنى وهو يأخذ دفتر الفواتير من جيبه . وأخذ الكولونيل وابن القاضى ينظران وأنا أوقع على الحساب وشعرت أن الوقت قد حان لترك تلك الصالة الباردة وأخذتهما وخرجت فى الخارج وقد ناديت لسيارة تاكسى وتوجهنا نحو المسرح .

وبعد أن أعطيت تذكرتين لباداي واحتفظت باثنين وقف كل واحد منا على جانب من الباب بينما كونغ كونغ وقف في الجهة المقابلة للشارع ولم تمض ربع ساعة حتي بعت التذاكر بـ ١٣,٥ دولار للتذكرة الواحدة وباداي باع تذاكره الواحدة بـ ٢٢ دولار واحتفظت بالعشرين دولارا التي أخذتها منهما في الفندق كربح لي لأنني أنا كنت صاحب الفكرة وأنا أتحمل الأخطار ووضعت المبلغ في خزانتي بينما بقي معي ٩ دولارات لأصرفها .

ـ والآن ما رأى الشباب في أن نعود إلى صالة الفندق طبعا مع بعض الدجاجات الرفيقات .

لم أكن أريد كسر خاطر أحد أصدقائي فكنت أعرف جيدا بأن هذا الصنف لا يمكنه الدخول إلى ذلك المكان حتي ولو حاولن التظاهر بالعظمة والرزانة .

وقلت لهما بلطف :

ـ لسنا في شارع ٧٢ لنعد إلى الفدق ونحاول مجالسة الطبقة الأرستقراطية .

وقال كونغ كونغ : لا تغضب مني إني أفضل الذهاب لملاقاة شايلا الكبير إنك لست طموحا فأنت تفوت فرصتك الكبيرة هذه

أما أنا سأبحث عن إحدى الوريثات .

وقال باداى : إذن سنلحق بك فيما بعد .

فحييته .. قد يجوز ولكن اصغ لى جيدا سأترك المكان غدا صباحا لذلك سأحتاج إليك اتصل بالفندق غدا فى الساعة السابعة تماما وقل بأنك لا تريد إزعاجى وقل لنائب المدير بأن لى موعدا مع رئيس مجلس إدارة السكك الحديدية فى الساعة الثامنة ويجب أن اصطحب معى كل الأوراق والمستندات حتى أتمكن من سحب الحقيبة معى . أفهمت ؟ .

وردد باداى الأمثولة بكل إتقان .

عدت إلى الفندق وتناولت بعض الأقداح . كانت الصالة قد ازدحمت الآن ولم أستطع الحظوة حتى بالتفاتة واحدة من أولئك الحسناوات فكن جميعا مرافقات وشعرت أن الحق مع باداى وكونغ كونغ وندمت على عدم ذهابى معهما وذهبت إلى غرفتى أقضى بقية نوم ساعتين غير أنى عندما فتحت عينى كان النهار قد طلع وأخذت التليفون وسألت عما إذا كان أحد قد اتصل بى وجاء الجواب بالنفى . وشعرت بكركعة فى معدتى لم أحقد على باداى وكونغ كونغ فقد يكونان مثلى قد تأخرا فى النوم وحلقت ذقنى

بسرعة وغسلت وجهي وأنا أسأل نفسي عن طريق للخروج بها من الفندق وإذا بالباب يقرع ونظرت من النافذة كنت في الطابق السادس ومشطت شعري وسويت ربطة عنقي وقلت متظاهرا بعدم الاكتراث من الطارق نائب مدير الفندق وألقيت نظرة ثانية من النافذة إن القفز مستحيل لا يوجد سلم ولا أي شيء وسلمت أمري لله وفتحت الباب ووجدت أمامي رجلين الأول قصير القامة يرتدي بدلة غامقة عرفته نائب المدير الثاني كالجسر تماما له صدر كصدر العجل ولا يبدو عليه شيء إلا أنه شقي كبير . نعم ماذا تريدان ؟

ودخلا إلى الغرفة قبل أن أدعوهما وأقفل الشقي الباب وراءه رأسا لقد نسينا يا سيدي أن نأخذ توقيعك على بطاقة الاعتماد هذه .

قال الرجل القصير ذلك وهو يقدم لي البطاقة .

بطاقة الاعتماد وبما أني لم أكن في وعيي الكافي لمجابهة ذلك العجل الواقف أمامي لجأت للمراوغة كسبا للوقت . بانتظار الوحي أو معجزة من المعجزات وتابعت .

ـ ولماذا ؟

ـ إن حسابك أصبح مرتفعا جدا يا مستر كولنر .

قال القصير ذلك وهو يمسك بالبطاقة .

فقلت له : ألم تأتني أية معايدة أو برقية .

وهز برأسه نافيا .

يا للمصيبة ... قلت لهم أن يرسلوا لى هذا الصباح مبلغا كبيرا من المال لم يصل أى مبلغ ؟ هذا مؤسف حقا . أنا أعرف كيف أتصرف مع المسئولين عن هذا التأخير .

أما بالنسبة لكما فلا خوف عليكما منى إنكما تقومان بواجبكما ، وهذا ما أقدره جيدا فى كل موظف إننى أعرف أن الحق على موظفى أنا ألم يأتنى أى من الناشب كونغ أو البرنسيس ياكافارجا .

ـ إن اسم الناشب لا يوجد فى الدليل البتة كما وأن ذلك البرنسيس أيضا لم نجد له أى عنوان فى دليل المجتمع الراقى .

يامستر هذه هى الفاتورة .

ومرت فى مخيلتى السجون الآتية أسماؤها

واندلو أماجدون موسديت وأخذت البطاقة ووقعت إمضاء مهما بذيلها ماذا يعنى هذا أيها السيد .

اسمع ليس لدى رصيد فى البنك ولا اعتماده لذلك لا أرى أية فائدة من تعبئة هذه البطاقة بعد أن أرسل تنهيدة قصيرة .

قال هذا ما كنت أنتظره .

وتحرك العجل بجانبه ونفخ صدره ، فقلت له قبل أن تذهب لنداء البوليس هل أقول لكم شيئا اسم تونى بلمونت وبعد أن تبادلا ابتسامة ذات مغزى قال الرجل القعيد : إن الجميع يعلمون أن السيد بلمونت هو ابن صاحب الفندق غير أن الحيلة لا تمر علينا آه كلا إنكم تجهلون طبعا بأنى أنا الذى يدير أعماله فى البورصة إذ تأتى أوقات أقرضه حوالى خمسة آلاف دولار إنه طبعا جدير بالثقة أكثر منك .

وتقدم العجل نحوى بعد إشارة من الرجل القصير القامة وفكرت فى نفسى طالما أنت فى الفندق فأنا الفاشل طبعا . أما إذا توصلت للخروج فقد تسنح لى الفرصة .

وجاءنى الوحى وقلت :

انتظر .. إنى لم أرتكب جريمة كما أعلم ومن يقول لكم إنى لا أقدر على الدفع ؟

هل تقدر ؟

طبعا .. صحيح إنى لا أملك رصيدا فى البنك .

وهنا أخرجت رزمة من المفاتيح ولكن لدى خزانة فى مكان ما باستطاعتكما توصيلى الآن إذا كنتما لا تصدقانى غير أنى لن أتأخر بإقامة دعوى تحصيل شرف .

وأين هى تلك الخزانة ؟

وذكرت لهما اسم أحد البنوك قرب سنترال بارك المكان الذى يكون لحاميه الحظ الكبير للهرب .

وقال نائب المدير بعد زفرة قصيرة :

- اتفقنا يا ميتش .

رافقه بالتاكسى إلى هناك أظن أننا سندفع أجرة السيارة أيضا واطمأننت قليلا الآن لتحقيق الخروج من الفندق وفى الخارج سيكون لكل محاولة حديث . خرجت أمامه كما لو أنى أقوم بآخر رحلة لى فى هذه الدنيا المباركة وأخذنا تاكسى ، كان باستطاعتى الهرب غير أنى لاحظت " ميتش " يضع يده دائما فى جيبه ولم يخرجها أبدا ، لذالك تراجعت عن فكرتى بعد برهة ، طلبت الإذن

منه للذهاب لشراء علبة سجائر فما كان منه إلا أن قدم لى سيجارة دون أن يكلمنى ، ثم جربت حيلة أخرى ، هذه المرة لا يمكن التأخر يجب أن أذهب لقضاء حاجة أريد الذهاب إلى التواليت . أظن أنك لا تريد الدخول معى .

وقال لى : إننا توأمان ملتصقان سياميان . نعم سأنتظرك على الباب .

وأوقف السيارة أمام أحد المقاهى .

وفعل كما قال دون أن يسحب يده من جيبه ، عندما عدنا إلى السيارة قلت له :

ـ على كل حال لا أظن أنك تقتل زميلا لك أنت زميل لى أيها الوغد الذى لا يصلح لشيء .

الوداع منك إذن أيتها الحياة . قلت فى نفسى إذا حاولت معركة معه فمئة بالمئة سأخرج منها مكسر الأضلاع محطم الأنف . والهرب أصبح مستحيلا كما يبدو أننا وصلنا إلى نهاية الرحلة .

وقلت له :

ـ عندى عرض مهم أحب أن أعرضه عليك إذا تركتنى أهرب

أعدك أن أسدد ديوني للفندق وأدفع لك لدى الإمكانيات لذلك . فما رأيك ؟ هل صحيح أنك تملك خزانة ؟

ـ هذه هي خزانتي .

قلت له وأنا أخرج العشرين دولارا من كعب حذائي . إنها دولارات مزيفة .

كلا أبدا صار لي أشهر عديدة لم أتعاط تلك الأعمال . دعني أنظر

بعد أن تفحص الأوراق جيدا وضعها في جيبه وقال :

ـ إنها صحيحة . عرضك لا يعجبني هيا أيها السائق إلى مركز الشرطة .

وضعت إزاء هذه وقلت : أنت مخادع لئيم إذن . لا تدعي للزمالة زماما غير أن السائق لم يحول سيره بل بقي سائرا إلى الأمام . ماذا

قال العجل هل رأيت شيئا ؟

وناوله خمسة دولارات .

ليس في شيء إن السيارة لم تطاوعني . قال له هذا وهو يحول

سيره ونظر إلى نظرة إشفاق إنى لم أحقد على السائق على كل حال لست مسجلا على لائحة أصدقائه وليس هو سوى متفرج . لدى بريء قبل أن يخرس لسانه مقابل حصة من الغنيمة ولكن الرجل الضخم الذى إلى جانبى نظر إلى مليا وقال : ملعون .. ملعون كبير .

وثار دمى فى عروقى سأحرم من الفتيات والسباق والشراب وكل شيء حلو فى هذه الدنيا . وفكرت معركة ألم أقل أولا إنى أريد قفز درجات السلم دفعة لأرى ماذا فى الأعالى لأرى ماذا يوجد خارج حافة السلة ويكون ما يكون . بعدها لو كسرت رجلى أو حطمت عنقى . ولكنى تراجعت بعد أن نظرت إلى نفسى ونظرت إلى العجل بجانبى مليا .. إنى لم أكن من عياره أبدا فهو كالمدفع بقربى وأنا كالبندقية وسكت . وتراجعت فالذى جعلنى أشعر بالمرض هو وقوعى بين يدى هذه العجل وقلت له بهدوء :

إذا أيها العم لقد ربحت أنت إنى أعترف لك بفشلى أهنئك وأضاف وهو ينفجر ضاحكا وأخذت مكافأة أيضا اسمع معك ٢٠ دولارا أخرى هل تريد أن تؤدى لى هذه الخدمة مقابل ذلك ؟

ما هى ؟

لدى حقيبة فى الفندق إنها ليست لى بل هى لصديق اسمه ليتل سام . مساعدة فقط ليستردها أظن أنك ستكون شهما قليلا من هذه الناحية ومقابل ذلك لا أذكر العشرين دولارا أمام أحد ليكن لك ما شئت .

قال بلهجة ساخرة غير أنى شعرت بأنه يفضل سكوتى بشأن العشرين دولارا فكرة ميتش قلت له إنك لطيف للغاية .

- لا تبالغ يا عزيزى .

أجابنى الرجل الضخم :

- عمل مقابل عمل سأعطيك اسمه وعنوانه .

قل له من أنت وماذا جرى لى .

أجل سأفعل ذلك .

وارتحت له وجلست قليلا لأنى اطمأننت على حقيبة ليتل وفكرت إن هذا الصديق سيجد طريقة ليدفع كفالة خروجى من السجن أو يستطيع أن يدفع العجل على السلم وينقذنى .

وهكذا تحررت وسررت لفكرتى هذه بانتظار أن أجد فكرة

أحسن منها . وأنا أنظر إليه نظرات متوسلة تقول :

ـ دعني أهرب ...

جوماكاي

ن : 1/4/3/07 تاريخ استلام : 13/5/2007

ALFRED HITCHCOCK

أكثر
الروايات
مبيعـــا
فى العالم

العالمية للكتب والنشر